روايات مصرية للجيب
ملف المستقبل
سري جدا!!
بلا أثر
106
د. نبيل فاروق
Looloo
www.helmelarab.net
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

# ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض ( مصر ) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى ( مصر ) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية ( نور الدين محمود ) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

# ١ - عاصفة على المريخ ..

برزت الشمس فى الأفق ، على كوكب المريخ ، واصطبغت سماؤه بلونها الأحمر التقليدى(*) ، الذى انعكس على جبال وتلال الكوكب ، فمنحها ذلك المشهد المهيب ، الكفيل ببث الرهبة فى أقوى وأشجع القلوب ..

ولبعد الكوكب عن الشمس(**) ، بدت أشبه بقرص صغير برتقالى اللون ، يسبح وسط بحر أحمر رهيب ، دون أن تنجح أشعتها فى رفع درجة حرارة السطح ، أو انتزاعه من برودته الأبدية القاسية(***) ..

ووسط هذا الخضم الأحمر ، بدا جسمان متحركان ، وسط الجبال المريخية ، المتناثرة على مساحة واسعة ..

---

( * ) يحتوى الغلاف الجوى لكوكب المريخ على ثانى أكسيد الكربون ، بدون أكسجين أو بخار ماء ، مما يصبغ سماءه بلون برتقالى يميل إلى الحمرة ..

( ** ) المريخ رابع كواكب المجموعة الشمسية بعدًا عن الشمس ، ويبعد عنها حوالى مائتين وخمسة وعشرين مليون كيلومتر فى المتوسّط ..

(***) تتراوح درجة الحرارة على سطح المريخ ما بين ثمانين ومائة وعشرين درجة ف تحت الصفر ..

جسمان بشريان ، فى زيين فضائيين ، من الأزياء شبه المطاطية الحديثة ، التى تم ابتكارها فى مركز أبحاث الفضاء المصرى ، عام ألفين وسبعة ..

وكان من السهل ، على من يتابع حركة الجسمين ، أن يتبيّن مدى توترهما وانزعاجهما ، وهما يتحركان فى اضطراب وتهالك ، وكأنهما يحاولان الفرار من خطر غامض مخيف ..

ولو أدار المراقب عينيه بعيدًا ، لمائتى متر على الأكثر ، خلف التل المواجه لهما مباشرة ، للمح ذلك الخطر ، الذى يسعيان للفرار منه ..

كان كائنًا شبه بشرى ، يزيد طوله قليلاً على المترين ، وعليه شىء أشبه بذلك الدرع المتداخل ، الذى يحمله حيوان المدرّع على جسده(*) ، ووجهه يختفى خلف قناع رهيب ، تتوسّطه عينان ضخمتان مخيفتان ، تشتعلان بضوء أحمر ، ترتجف لمرآه أشد القلوب بأسًا وجسارة ..

---

(*) المدرّع : حيوان ثديى ، من رتبة عديمة الأسنان ، يغطى رأسه وجسمه درع مكوّن من مادة عظمية وقرنية ، وللذيل حلقات عظمية ، وهو متنوّع الأكل ، ولكن يعتمد فى غذائه الرئيسى على الحشرات ، ولحمه طيب المذاق ، وعندما يتعرّض المدرّع للخطر ، ينطوى على نفسه ، ويحيط جسمه بدرعه العظمى ، بحيث يعجز عدوه عن الوصول إليه .



وكان من الواضح أن ذلك الكائن يطارد البشريين فى إصرار عجيب ..

وأنه يسعى إلى هدف واحد ..

تدميرهما ..

هذا لأنه لم يكد يلمحهما ، فور دورانه حول التل ، حتى صوّب إليهما سلاحًا يختفى فى قفازه المعدنى السميك ..

وأطلقه ..

ومن تجويف صغير فى القفاز ، انطلق صاروخ فى حجم قلم جاف ، وشقّ طريقه فى سرعة مخيفة ، قبل أن ينفجر فى قوة ، على قيد أمتار أربعة من البشريين ، اللذين دفعهما الانفجار أمامه فى عنف ، فطار جسداهما فى الهواء لثلاثة أمتار أخرى ، قبل أن يسقطا فوق صخور المريخ ، ويتدحرجان فى عشوائية ..

ولو اقتربنا أكثر وأكثر ، من هذين البشريين ، لوجدنا أمامنا مفاجأة مدهشة ..

هذا لأننا نعرفهما جيدًا ..

وإن لم نتوقّع وجودهما فى هذا المكان ..

كانا ( نور ) و ( أكرم ) ..

وكان الإرهاق يبدو عليهما واضحًا ، وهما ينهضان

بعد الانفجار ، و ( أكرم ) يهتف فى توتر شديد :

- هذا الشيء مصرّ على سحقنا يا ( نور ) ، ولم يعد لدينا من سبيل للفرار .

أجابه ( نور ) فى حزم ، على الرغم من آلامه وتهالكه :

- المريخ كله أمامنا يا ( أكرم ) .. دعنا لا نسمح له بالظفر بنا قط .

هتف ( أكرم ) محنقًا ، وهو يعدو مع ( نور ) ، فوق صخور المريخ :

- ما أسهل القول يا ( نور ) .. إنه يطاردنا منذ ساعة كاملة ، ويبدو أنه لا يشعر بالتعب والإرهاق مثلنا ، فما زال قويًا متماسكًا كما كان ، وأسلحته لا تنضب أبدًا .

قال ( نور ) ، وهو يتسلّق صخرة كبيرة ، اعترضت طريقهما :

- قاوم يا ( أكرم ) .. قاوم .. لا يمكننا أن نستسلم أبدًا .. أنت تعلم ما يمكن أن يحدث ، لو أننا استسلمنا .. ستكون كارثة .. كارثة ستودى بالأرض كلها .

عضّ ( أكرم ) شفتيه غيظًا ، وهو يقول :

- ربّاه !.. كم أفتقد مسدسى .



هزّ ( نور ) رأسه ، قائلًا :

- لم يكن ليفيدك هنا يا صديقى .. الدرع الذى يحمله يتصدّى لكل أسلحتنا ، ويجعله منيعًا أمامنا .

هتف ( أكرم ) :

- كيف تتوقّع منا أن نهزمه إذن ؟!

تنهّد ( نور ) ، وهو يواصل التسلّق ، قائلًا :

- لست أدرى .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انفجر فى قمّة التل صاروخ آخر ، وتطايرت الصخور فى كل مكان ، فهتف ( أكرم ) :

- ألم أقل لك يا ( نور ) ؟!.. إنه مصرّ على سحقنا .

راحا يتسلقان التلّ فى سرعة ، حتى بلغا قمته ، فقفزا إليها ، فى نفس اللحظة التى مرق فيها صاروخ ثالث فوق رأسيهما ، جعل ( أكرم ) يضيف ساخطًا :

- ولكن من حسن حظنا أن هذا الوغد لا يجيد التصويب بدقة .

لهث ( نور ) فى شدة ، وهو يستلقى على ظهره ، قائلًا :

- إنه لا يحتاج إلى إجادة التصويب ، فالقضاء علينا لا يستلزم إصابتنا مباشرة ، يكفيه أن يُحدث ثقبًا صغيرًا

فى الزى الفضائى ، أو فى الخوذة ، وسيتكفل الضغط المنخفض فى الخارج بالباقى .

زفر ( أكرم ) فى قوة ، قائلا :

ـ أعلم هذا .. لقد شاهدت المشهد فى فيلم سينمائى قديم ، فمع الانخفاض المفاجئ للضغط تجحظ العينان ، وينتفخ الوجه ، ويحتقن بالدم ، و ...

انتفض جسده فى اشمئزاز ، وهو يستعيد مشهد انفجار الجسد ، الذى شاهده على الشاشة منذ سنوات ، وغمغم :

ـ يا للبشاعة !

لم يكد ينطق الكلمة ، حتى غمره ظلّ ضخم ، التفت إليه فى سرعة ، هاتفا :

ـ يا إلهى !.. انظر يا ( نور ) .

تجمّدت الدماء فى عروق ( نور ) ، وهو يحدّق فى الكائن ، الذى وقف على قيد ثلاثة أمتار منهما ، على قمة التلّ ، مصوبًا إليهما سلاحه ..

وفى توتر ، صرخ ( نور ) :

ـ احترس يا ( أكرم ) .

ولكن ( أكرم ) اندفع نحو ذلك الكائن ، الذى أطلق صاروخه ، و ...



ودوى الانفجار ..

انفجار عنيف ، على قمة التل ، بدا للمراقبين الفلكيين ، على كوكب الأرض ، أشبه بعاصفة عاتية مباغتة ..

عاصفة على المريخ ..

أما المراقبون ، على الكوكب نفسه ، فقد انفطرت قلوبهم مع دوى الانفجار ، الذى بدا لهم أشبه بفقدان الأمل الأخير فى النجاة ، وبإعلان للنهاية ..

نهاية ( نور ) و ( أكرم ) ..

* * *

من المؤكّد أن عشرات الأسئلة قد انطلقت فى ذهنك ، مع هذه البداية العجيبة ..

ما الذى يحدث هناك ، على سطح المريخ ؟!..

وما شأن ( نور ) و ( أكرم ) به ؟!..

بل كيف وصلا إلى المريخ ؟!..

ولماذا ؟!..

وجواب كل هذه الأسئلة يحتاج منا إلى العودة قليلاً إلى الماضى ..

إلى خمسة أيام مضت ..

وبالتحديد إلى تلك اللحظة ، التى عاد فيها ( نور )

من عمله ، فى ذلك اليوم من الأيام الأولى لفصل الصيف ، وهتف ينادى زوجته فى حماس :

- ( سلوى ) .. عندى لك مفاجأة .

أسرعت إليه مبتهجة ، وهى تسأله فى لهفة وفضول :

- هل حصلت على ترقية فى عملك ؟

ضحك قائلاً :

- لا أعتقد أن الترقية يمكن أن تسعدنى إلى هذا الحد .

تعلّقت بعنقه ، قائلة فى دلال :

- ما نوع المفاجأة إذن ؟

أخرج بطاقتين مغنطيسيتين من جيبه ، ولوّح بهما ، قائلاً :

- رحلة إلى المريخ .

صرخت فى سعادة غامرة :

- إلى المريخ ؟!.. أتعنى أننا سنزور ( نشوى ) و ( رمزى ) ؟!.. يا لها من مفاجأة رائعة يا ( نور ) !.. كم أحبك .

وراحت تغمر وجهه بالقبلات ، وهو يضمّها إليه فى حنان ، وابتسامته تملأ وجهه ، قبل أن يقول :



- المفاجأة الثانية أننا لن نذهب وحدنا .

تراجعت لتسأله فى لهفة :

- ماذا تعنى ؟!

أجابها بابتسامة كبيرة :

- سيرافقنا ( أكرم ) و ( مشيرة ) .

هتفت فى سعادة :

- حقًا ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

- نعم .. ( أكرم ) يعتبرها فرصة للنقاهة ، بعدما أصابنا فى مغامرتنا السابقة ، من جراء مواجهتنا لكائنات الفضاء(*) ، أما ( مشيرة ) ، فستمزج العمل بالمتعة كالمعتاد ، وستقوم بعمل تحقيق حول المستعمرة الفضائية على المريخ ..

تعلّقت بعنقه مرة أخرى ، هاتفة :

- يا لسعادتى !!.. أشعر أنها ستكون رحلة رائعة يا ( نور ) .. سأبرق لابنتنا بأمر الرحلة ، ولكن متى نسافر يا ( نور ) ؟

أجابها مبتسمًا :

---

(*) راجع قصة ( وجوه من ثلج ) .. المغامرة رقم ( ١٠٥ ) .

ـ غدًا صباحًا ، سينطلق المكوك السياحى إلى المريخ ، وبسرعته الفائقة ، سنصل إلى هناك بعد خمسة أيام بالتحديد .

صفقت بكفيها فى جذل كالأطفال ، وهى تقول :

ـ يا للروعة !.. ستكون رحلة متميزة يا ( نور ) .. ستكون كذلك حتمًا بإذن الله ( سبحانه وتعالى ) ..

قالتها ، دون أن تدرى أن العبارة دقيقة على نحو مدهش ..

ستكون الرحلة بالفعل متميِّزة ..

متميِّزة إلى حد الموت ..

* * *

تهلَّلت أسارير ( نشوى ) ، وهتفت فى سعادة ، وهى تلتقط رسالة قصيرة من ( الفاكس ) الفضائى :

ـ ( رمزى ) .. أبى وأمى سيصلان بعد خمسة أيام .

التفت إليها ( رمزى ) ، وهتف فى سعادة :

ـ حقًّا ؟!

ثم شرد بصره ، وهو يسترجع عشرات الأحداث والذكريات ، مستطردًا فى انفعال :

ـ يا إلهى !.. كم أشتاق لرؤية ( نور ) و ( سلوى ) ..



لم أرهما منذ فترة طويلة جدًا ، منذ عملنا هنا فى المريخ(*) .

انعقد حاجباها ، وهى تطالع الجزء الأخير من الرسالة ، قائلة :

ـ يبدو أنك ستتنعم برؤية كل أحبائك .

سألها فى حيرة :

ـ ماذا تعنين ؟

أجابته فى شىء من العصبية :

ـ ستأتى ( مشيرة ) بصحبتهما .

رفع حاجبيه ، قائلاً فى دهشة :

ـ وحدها ؟!

هزَّت رأسها نفيًا ، وهى تقول :

ـ بل مع ( أكرم ) .

ثم أضافت فى شىء من الخبث :

ـ هل يضايقك أن تحضر مع زوجها ؟

انفجر ضاحكًا ، وجذبها إليه فى رقة ، هامسًا :

ـ أمازلت تشعرين بالغيرة منها ، حتى بعد زواجها ؟

مطَّت شفتيها على نحو طفولى ، قائلة :

---

(*) راجع قصة ( الحرباء ) .. المغامرة رقم ( ١٠١ ) .

- لا يمكننى أن أنسى أنها كانت زوجتك .

طبع قبلة على وجنتها ، قائلاً :

- ولكنها لم تعد كذلك ، فقد انفصلنا منذ زمن طويل ، وتزوجت هى ( أكرم ) ، ومن الواضح أن كلاً منهما غارق فى حب الآخر حتى النخاع .. تمامًا مثلنا .

أراحت رأسها على صدره ، قائلة :

- هل تحبنى حقًا يا ( رمزى ) ؟

ربّت عليها فى حنان ، هامسًا :

- يا له من سؤال !.. أما زلت تشكين فى هذا ، وأنت على وشك إنجاب طفلنا ؟

قالت فى نعومة :

- لست أشكّ فى حبك لى يا ( رمزى ) ولكننى أحب سماعك تقولها دائمًا .

ابتسم فى حنان ، وضمّها إليه فى رقة ، وهو يهمس فى أذنها :

- أحبك .. أحبك دائمًا يا ( نشوى ) .

خفق قلبها فى سعادة ، وهى تلتصق به أكثر ، و ...

وفجأة ، ارتفع أزيز جهاز الاتصال الداخلى ، فتراجعت قائلة بابتسامة عصبية :

- آه .. نسيت أن هذا يحدث دومًا .



ضحك ، قائلاً :

- إنها ضرورات العمل يا حبيبتى ، فلا تنسى أننى أقود فريقًا من أفضل شبابنا ، وأننى المسئول عن سلامتهم هنا .

قالها ، وضغط زر جهاز الاتصال ، قائلاً :

- ( رمزى ) يتحدث .

أتاه صوت أحد الشباب ، يقول :

- معذرة أيها القائد ، ولكننا كنا نطلب الإذن بالخروج فى جولة تقليدية على سطح المريخ .

سأله ( رمزى ) فى اهتمام :

- كم عددكم هذه المرة ؟

أجابه الشاب :

- خمسة .. سنخرج لاستكشاف المنطقة القريبة من القطب .

راجع ( رمزى ) خريطته ، على شاشة الكمبيوتر ، قبل أن يقول :

- لا بأس .. سأمنحكم ساعتين للاستكشاف ، قبل العودة إلى المستعمرة ، ويمكنكم الاستعانة بسيّارة فضائية ، مع إبلاغى لاسلكيًا بأية تطورات غير محسوبة .

أجابه الشاب فى حماس :

- سنفعل أيها القائد .. سنفعل بإذن الله .

أنهى ( رمزى ) الاتصال ، وهو يلتفت إلى ( نشوى ) مبتسمًا ، ويقول :

- أين كنا بالضبط ؟

ضحكت ، وهى تضع رأسها على صدره ، قائلة :

- هل تعلم .. إننى أشعر بالقلق دائمًا ، كلما خرج هؤلاء الشباب ، في واحدة من رحلاتهم الاستكشافية .

هزّ كتفيه ، قائلا :

- لا تقلقى نفسك بشأنهم .. لقد أصبحوا خبراء ، ثم إن هذه الرحلات الاستكشافية جزء من برنامجهم التدريبى ، فلا بد لهم من التحرك بحرية على سطح المريخ ، والتعامل مع تضاريسه مباشرة ، والتآلف معها جيدًا ، وإلا فكيف يستوطن الآخرون الكوكب فيما بعد .

ثم ضمها إليه ، مستطردًا :

- هذه هى الضريبة ، التى يدفعها الروّاد ، فى كل زمان ومكان .

سألته فى اهتمام :



- إذن فأنت واثق من أنهم لا يواجهون أية مخاطر .

سألها فى دهشة :

- ماذا دهاك هذه المرة ؟.. إنها مجرّد رحلة استكشافية تقليدية ، وليس أكثر .

ولكن ( رمزى ) لم يكن مصيبًا هذه المرة ..

فالرحلة الاستكشافية لن تكون تقليدية أبدًا ..

بل ستكون رحلة رهيبة فى تاريخ المستعمرة المريخية ..

بل وفى تاريخ الأرض كلها ..

لو بقى لها تاريخ ..

* * *

## ٢ ـ اكتشاف ..

انتهى العد التنازلى لإطلاق مكوك الفضاء السياحى ، فانطلقت ألسنة اللهب من قاعدة الصاروخ ، الذى يحمله إلى الفضاء الخارجى ، وراح يرتفع عن الأرض فى بطء ، ثم لم تلبث سرعته أن تزايدت تدريجيًا ، وهو يخترق الغلاف الجوى الأرضى ، ويحطِّم حاجز الجاذبية الأرضية ، لينطلق فى الفضاء الخارجى ، فى رحلته الأولى إلى المريخ ..

وداخل المكوك ، هزَّ ( أكرم ) رأسه ، قائلاً :

ـ من يصدِّق هذا ؟.. كنت فى طفولتى أحلم برحلة سياحية إلى ( أوروبا ) ، والآن أجد نفسى منطلقًا إلى المريخ .

ابتسم ( نور ) ، قائلاً :

ـ هذه سنة التطوُّر يا صديقى ، ففى أوائل القرن العشرين ، لم يكن من الممكن أن يركب العامة الطائرات ، التى كانت تنطلق على ارتفاعات منخفضة ، حتى لا يصاب راكبها بدوار ، من جراء نقص الأكسجين ، ثم تطوَّرت الطائرات ، وأصبحت مجهَّزة



ليتشابه الضغط والهواء داخلها مع مثيلهما على الأرض ، وعندئذ صار من السهل أن يركب حتى أصحاب القلوب الضعيفة الطائرات ، وينتقلون من قارة إلى قارة ، تحيط بهم وسائل رفاهية وفخامة ، قد لا تتوافر فى مساكنهم نفسها .

قالت ( سلوى ) ضاحكة :

ـ وفى المستقبل سيخرج الأطفال فى رحلات إلى كواكب المجموعة الشمسية كلها بإذن الله(*) .

أومأت ( مشيرة ) برأسها إيجابًا ، وهى تقول :

ـ أعتقد أن هذا سيكون فى المستقبل القريب ، فعجلة التطوُّر تدور بسرعة مدهشة ، يصعب اللحاق بها .

ثم أضافت فى اهتمام :

ـ هل تعلمين يا ( سلوى ) أن طفل ( نشوى ) سيكون أوَّل طفل يولد فى الفضاء ؟

---

(*) المجموعة الشمسية : تتكوَّن من الشمس ، وما يدور حولها بتأثير جاذبيتها ، وهذه المجموعة هى الكواكب والكويكبات ، وأقمار الكواكب ، وبعض المذنبات والشهب ، وكواكب المجموعة الشمسية ، بترتيب قربها من الشمس هى : عطارد ، الزهرة ، الأرض ، المريخ ، المشترى ، زحل ، أورانوس ، نبتون ، بلوتو

قالت ( سلوى ) فى سعادة :

ـ أعلم هذا ، وأشعر بفخر شديد من أجله .

تنهّد ( نور ) ، قائلا فى حنان :

ـ ( نشوى ) دائما متميزة .. حتى عمرها هذا لم تبلغه على نحو طبيعى(*) ، ولعلكم لم تنسوا بعد ما أصابها ، عندما جازفت بحياتها لتنقذ الأرض ، مع نهاية الاحتلال(**) .

سألت ( مشيرة ) :

ـ وما الموعد المحتمل لولادتها ؟

أجابتها ( سلوى ) فى فرح :

ـ بعد شهرين من الآن ، طبقًا لتقارير الأطباء .

ابتسمت ( مشيرة ) ، قائلة :

ـ أتمنى أن تضع حملها دون صعوبة .

غمغم ( نور ) :

ـ بإذن الله ( العلى القدير ) .

تنهّد ( أكرم ) ، وهو يقول فى شىء من الضجر :

ـ أخبرونى .. متى نصل إلى المريخ ؟

---

( * ) راجع قصة ( المحيط الملتهب ) .. المغامرة رقم ( ٦٢ ) .

( ** ) راجع قصة ( النصر ) .. المغامرة رقم ( ٨٠ ) .



أجابه ( نور ) فى هدوء :

ـ بعد خمسة أيام تقريبًا .

زفر فى حنق ، قائلا :

ـ لا بد أن يبتكروا وسائل أكثر سرعة فى المستقبل ، فلست أميل بطبعى إلى الرحلات الطويلة .

ثم تثاءب فى تكاسل ، قبل أن يبتسم مستطردا :

ـ ولكننى سأعوض هذا عند وصولنا إلى المريخ ، فسأنام طويلا .. طويلا جدًا ..

ولكن الرياح لا تأتى دائما بما تشتهى السفن يا ( أكرم ) ..

فعندما تضع قدميك على سطح المريخ ، ستنسى ما تعنيه كلمة النوم ، ولن يغمض لك جفن .. قط ..

* * *

انطلقت السيارة الفضائية على سطح المريخ فى سرعة متوسطة نسبيًا ، بشكلها الشبيه بالدبّابة ، باستثناء القبة الزجاجية على قمتها ، والتى بدا أسفلها الشبان الخمسة ، فى زيهم الفضائى الحديث ، وهم يراقبون ما حولهم فى اهتمام شديد ..

وبينما اخترقت السيارة تلك المنطقة الجبلية ، بالقرب

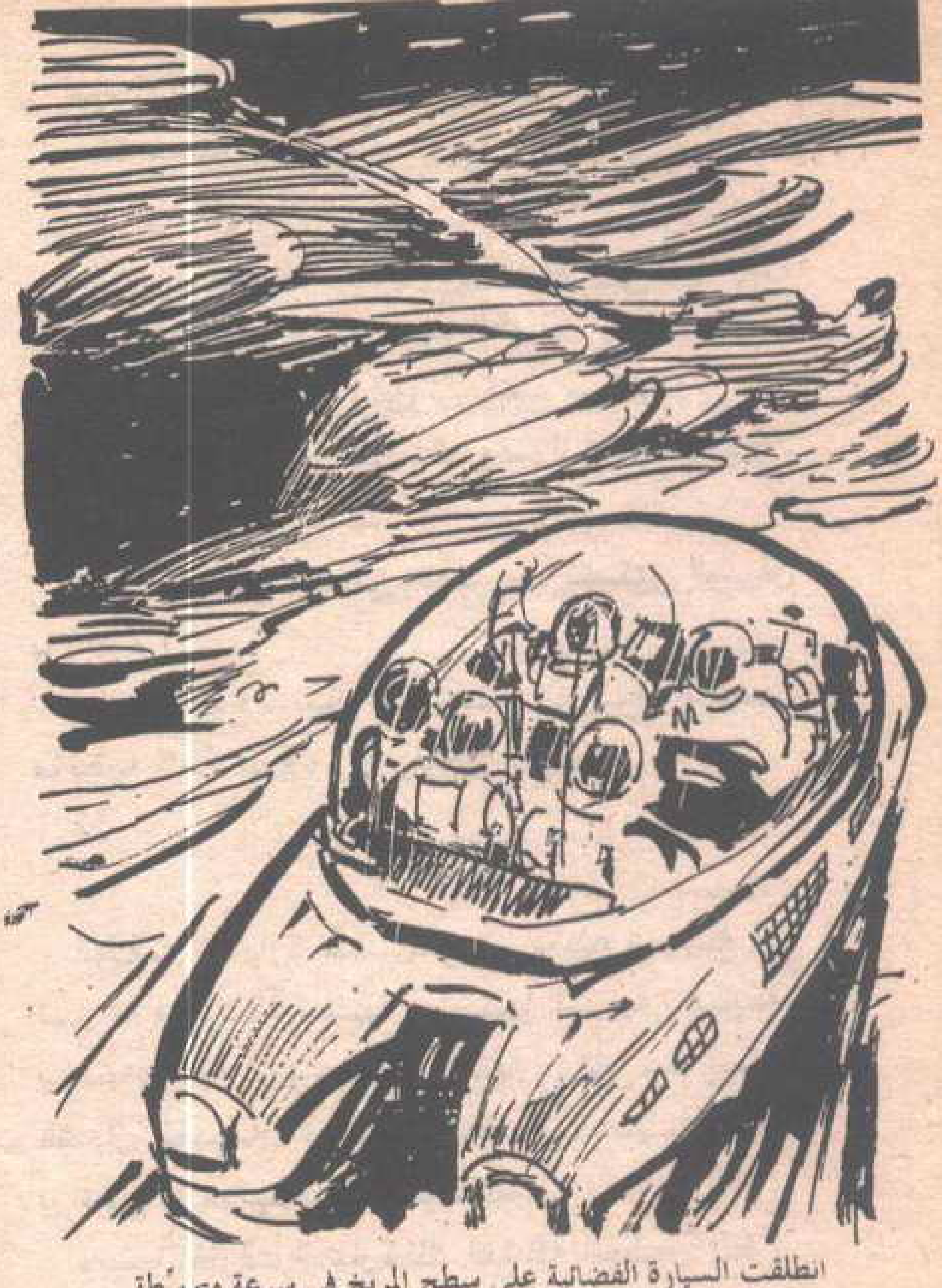

انطلقت السيارة الفضائية على سطح المريخ فى سرعة متوسطة نسبيًا ، بشكلها الشبيه بالدبّابة ..

من القطب ، قال أحد الشبان فى حماس :

ـ أراهنكم أن اسمنا سيتصدّر قائمة المستكشفين ، عندما يبدءون فى كتابة تاريخ المريخ ، ففريقنا هو أوّل فريق يضع أقدامه على سطحه .

قال أحدهم فى سرعة :

ـ فى التاريخ الحديث .

التفت إليه الشاب ، قائلاً فى دهشة :

ـ وما الذى يعنيه قولك العجيب هذا ؟!

هزّ الآخر كتفيه ، قائلاً :

ـ لسنا ندرى شيئًا عن التاريخ القديم للمريخ ، ولا أحد يدرى ما الذى كان عليه هذا الكوكب ، منذ ملايين السنين ، ولا تنس أن هناك نظريات تشير إلى أنه كان أحد الكواكب المأهولة ، منذ زمن بعيد ، قبل أن يتعرّض لكارثة مجهولة ، قضت على صور الحياة على سطحه(*) .

قال الأوّل فى استهتار :

ـ مجرّد نظرية .

أجابه زميله :

---

(*) نظرية علمية حقيقية .

ـ النظريات لا تنشأ من فراغ .
لوّح الأول بكفه ، قائلا :
ـ هراء .. كل ما يفعله العلماء فى هذا الشأن ، هو أن يستلقى الواحد منهم فوق أريكة وثيرة ، ويسأل نفسه : ماذا لو كانت هناك حياة قديمة على المريخ ؟!.. وتستهويه الفكرة ، فيحيطها بالتفاصيل ، التى تنبت من خياله الخصب ، وقبل أن ينهض ، يكون قد وضع نظريته حول تاريخ المريخ القديم .
ضحك زميل ثالث ، وهو يقول :
ـ يا إلهى !.. من الواضح أنك لا تمتلك أية عقلية علمية .
مطّ الشاب شفتيه ، وقال فى شىء من العصبية :
ـ وما حاجتى إليها ؟.. أنا مقاتل ولست عالمًا فضائيًا ، ولو أننى ...
قاطعه زميل رابع ، وهو يقول فجأة :
ـ مهلًا .. يبدو أننا وقعنا على كشف جديد .
أوقف الخامس السيارة ، وهو يسأله فى اهتمام :
ـ أى كشف هذا ؟!
أشار الشاب إلى جبل قريب ، قائلًا :
ـ انظروا هناك .



تطلعوا إلى حيث أشار ، ثم هتف أحدهم :
ـ آه .. لقد رأيته .. إنه ليس ظلًا .. إنه كهف .
هتف ثالث فى دهشة :
ـ كهف ؟!.. هنا فى المريخ ؟!
تبادلوا نظرة مفعمة بالانفعال ، ثم قال أحدهم فى حزم :
ـ ألم أقل لكم إن اسمنا سيحفر فى تاريخ المريخ ؟
ثم التقط سلاحه ، مستطردًا :
ـ هيّا بنا .. سنخرج لاستكشاف هذا الكهف .
قال الذى يقود السيارة فى حزم :
ـ الأوامر تحتم إبلاغ القائد .
أجابه زميله فى توتر :
ـ ليس هذه المرة .. من أدرانا أنه لن ينسب الكشف لنفسه ؟
هتف الشاب فى دهشة :
ـ من ؟!.. القائد ( رمزى ) ينسب كشفنا لنفسه ؟!.. يبدو أنك لم تفهم قائدك بعد .
أشار إليه زميله ، قائلًا :
ـ فليكن .. لن أجادلك فى هذا الأمر .. دعنا نستكشف الكهف أولًا ، ولو عثرنا على ما يثير الاهتمام ، سنبلغ القائد مباشرة .

تردّد الشاب لحظة ، ولكن زميلا آخر قال :

- هيا .. لاتفكر طويلا .. إنه اقتراح منطقى .

قال الشاب فى عصبية :

- التعليمات تحتم أيضا بقاء أحدنا ؛ لحراسة المركبة .

ضحك رفاقه فى سخرية ، وقال أحدهم :

- من ماذا ؟ أو ممن ؟.. هل أخبرك أحدهم أن المريخ ملىء باللصوص ؟!

ارتبك الشاب ، وهو يغمغم :

- إنها التعليمات .

تبادلوا نظرة ساخرة ، ثم قال له أحدهم ، وهم يستعدون لمغادرة السيارة :

- فليكن .. يمكنك البقاء ، ما دمت تخاف دخول الكهف .

هتف معترضًا :

- ومن ذكر أمر الخوف ؟!.. إننى أنفذ التعليمات فحسب .

غادروا السيارة بالفعل ، دون مناقشة ، واتخذوا طريقهم إلى الكهف ، وقال أحدهم ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى :



- سنبلغك بما نجده أولًا فأولا .

غمغم فى شىء من الضيق :

- لا بأس .. سأترك جهاز الاتصال مفتوحًا .

راقبهم ببصره ، وهم يدلفون إلى الكهف ، قبل أن يتمتم :

- إننى أطيع التعليمات فحسب .

كان مدخل الكهف عاديًا ، أشبه بالكهوف الجبلية الأرضية ، حتى أن أحد الشبان قال فى إحباط :

- كان ينبغى أن نتوقّع هذا .. مجرّد كهف عادى .

أجابه زميله :

- لا تتعجّل يا صديقى .. إننا لم نفحص المكان بعد .

راحوا يتوغّلون رويدًا رويدًا فى الكهف ، وكلما ازدادوا توغّلًا ، تضاعف اعتقادهم فى أنه مجرّد كهف عادى ، حتى توقّف أحدهم ، وقال فى ضجر :

- أعتقد أن هذا يكفى يا رفاق .

ثم ضغط جهاز الاتصال بالسيارة ، مستطردًا :

- لم نعثر على ما يستحق الذكر .. سنعود إليك .

أجابه سائق السيارة الفضائية :

- كنت أتوقّع هذا .. لا بأس .. أنا فى انتظاركم .

بدءوا يستعدون للعودة ، عندما قال أحدهم فجأة :

- عجبًا !.. انظروا يا رفاق .

أداروا وجوههم ومصابيحهم إلى حيث يشير ، واتسعت عيونهم فى دهشة بالغة ..

فأمامهم مباشرة ، كان هناك جزء ممهَّد تمامًا ، على نحو يستحيل حدوثه ، مع عوامل التعرية الطبيعية ..

كان أشبه بممر مستقيم ، له جدران مصقولة ، وسقف من قطعة واحدة كبيرة ..

وكان ينتهى بجدار مصمت ..

وفى حيرة ، اتجه أربعتهم إلى ذلك الجدار ، فى نهاية الممر ، وقال أحدهم فى دهشة :

- إنه نفق صناعى يا رفاق .

أجابه زميله :

- هذا صحيح .. وأعتقد أنه يكفى لتعيد النظر فى نظرياتك ، الخاصة بعدم وجود مخلوقات عاقلة على المريخ ، منذ آلاف السنين .

عقد الشاب حاجبيه ، وقال فى توتر :

- هناك تفسيرات أخرى لوجود هذا النفق .

سأله آخر :

- مثل ماذا ؟!

أجابه فى حزم :



- ربما صنعه أرضيون .

هتفوا فى دهشة :

- أرضيون ؟!. وكيف هذا ؟. نحن الأرضيون الوحيدون على سطح المريخ .

أجاب فى حدة :

- من الناحية الرسمية فقط .

تطلَّعوا إليه فى تساؤل ، فتابع بسرعة :

- أنتم تعرفون أن ارتياد الفضاء عبارة عن سباق متصل ، بين كل القوى على الأرض ، وربما تسلل الأمريكيون أو الصينيون إلى هنا ، فى غفلة منا ، وصنعوا هذا النفق ، و ...

لم يستطع إكمال عبارته ، فارتبك لحظات ، قبل أن يقول :

- أنتم تفهمون .. أليس كذلك ؟

تطلَّعوا إليه فى صمت ، وعدم الاقتناع يطل من عيونهم فى وضوح ، ثم قال أحدهم ساخرًا :

- فكرة عبقرية ، ولكننى لا أميل إلى الاقتناع بحرف واحد منها .

ثم استند إلى الجدار ، مستطردًا :

- إلا لو كان الأمريكيون أو الصينيون قد وصلوا بسفن فضائية خفية .

احتقن وجه الشاب ، وهو يقول فى حدة :

- هل تسخر منى ؟!

قهقه زميله ضاحكا ، وهو يقول :

- لست بحاجة إلى هذا .. أفكارك وحدها تسخر منك .

انعقد حاجبا الشاب فى غضب ، وضرب الجدار بقبضته فى عنف ، صائحًا :

- أيها الوغد الـ ...

اختنقت الكلمة فى حلقه ، وهو يحدق فى الجدار فى ذهول ..

لقد أشعلت ضربته شيئًا ما فيه ، فتحرك فى بطء ، واختفى داخل فجوة فى النفق ، كاشفًا ممرًا طويلاً ، صنع سقفه وجدرانه وأرضيته من معدن فضى باهت ، وازدان بمصابيح صغيرة ، ذات ضوء أصفر داكن ، أضيئت بالتتابع ، فى مشهد مهيب ، فور انزياح الجدار ..

ولثوان ، ران على المكان صمت رهيب ، والأربعة يحدقون فى الممر ، قبل أن يهتف أحدهم مبهورًا :

- رباه !.. لقد وقعنا على كشف هائل .

هتف آخر :

- نعم .. كشف سيغير كل النظريات المعروفة ، عن كوكب المريخ .



وقفوا جامدين لحظات ، أمام ذلك المشهد ، ثم تقدم أحدهم إلى الممر ، قائلا :

- هيا .. لن نتوقف ، بعد أن بلغنا هذا الحد .

عبروا الممر فى حذر ، وما إن أصبحوا داخله ، حتى انطلق من خلفهم أزيز خافت ، واندفع الجدار من فجوته ، ليعود إلى موضعه ، فصاح بعضهم :

- إنه يغلق خلفنا .

حاولوا منع الجدار ، إلا أنه أكمل رحلته ، وأغلق الممر خلفهم تمامًا ، فهتف آخر فى حنق :

- ما الذى فعلناه بأنفسنا ؟

بدا عليهم الاضطراب لحظات ، ثم قال ثالث فى حزم :

- لا بأس يا رفاق .. مادمنا لا نملك وسيلة للتراجع ، فلنمض فى طريقنا ، وربما وجدنا مخرجًا آخر .

تبادلوا نظرة متوترة ، ثم اتفقوا دون أن يلفظ أحدهم بحرف واحد ، وواصلوا طريقهم عبر الممر ، وقلوبهم تخفق فى قلق وتوتر ..

كان الممر يمتد لعشرين مترًا ، ثم ينتهى بباب ضخم ، فى طرفه دائرة حمراء ، ضغطها أحدهم فى حذر ، قائلا :

- يبدو أن هذا رتاج الباب .

تألقت الدائرة الحمراء ، مع ضغطة يده ، ثم انفتح الباب فى بطء ..

وشهق الأربعة فى انبهار شديد ..

لقد كانت أمامهم قاعة هائلة ، لم يروا شيئا بمثل حجمها قط ، تراصت فيها أسطوانات زجاجية ضخمة ، رقد داخل كل منها مخلوق ضخم الرأس ، طويل القامة ، رفيع الأطراف ، له ملامح شبه بشرية ، وإن خلت من الشعر تماما ، وبرزت فى قمتها عروق زرقاء داكنة ..

وفى ذهول ، تطلع الأربعة إلى ذلك المشهد المهيب ، قبل أن يهتف أحدهم :

ـ انظروا يا رفاق .. إنهم فى حالة سبات اصطناعى .. يبدو أنهم السكان الأصليون للكوكب ، ولقد لجئوا إلى هذه الوسيلة لإنقاذ أنفسهم ، من الكارثة التى أصابت المريخ ، حتى يجدوا وسيلة لمغادرته .

جولوا وسط الاسطوانات الضخمة فى انبهار ، حيث ضغط أحدهم زر الاتصال بالسيارة الفضائية ، وهو يقول لزميله الذى بقى فيها :

ـ لن يمكنك أن تصدق ما عثرنا عليه يا رجل .. إنه كشف العصر .. أعظم كشف فى تاريخنا كله ، و ...

انتبه فجأة إلى أبخرة تتصاعد من أسطوانة كبيرة ،



تتخذ ركنا منفردا من القاعة ، فقطع الاتصال ، مشيرا إليها ، وهو يقول :

ـ انظروا يا رفاق .. يبدو أننا أيقظنا شيئا ما هنا .

تطلعوا جميعا إلى تلك الأسطوانة الكبيرة ، فى شىء من القلق والحذر ، ثم تقدموا نحوها فى بطء ، وتطلعوا داخلها ، قبل أن تتسع عيونهم فى ارتياع ..

ففى قلب الأسطوانة ، كان يرقد كائن شبه بشرى ، ضخم الجثة ، يحيط به درع عظمى غضروفى ، وعلى وجهه قناع مخيف ، تتوسطه عينان ضخمتان ، لهما لون أحمر قان ..

وفى انبهار ، قال أحدهم :

ـ ما هذا الشىء بالضبط ؟!

أجابه زميله :

ـ إنه يختلف تماما عن الآخرين .. يلوح لى أنه حارس المكان ، أو شىء من هذا القبيل ..

حدق ثالث فى ذلك الكائن المخيف ، مغمغما :

ـ حارس المكان ؟!

كان تصاعد الأبخرة قد تضاعف ثلاث مرات على الأقل ، فى حين بدأت العينان المخيفتان تتألقان على نحو مخيف ، فقال الأول ، وهو يتراجع ، ويصوب

سلاحه إلى الأسطوانة :

- يبدو أنه يستيقظ .. تراجعوا يا رفاق ، قبل أن ..

لم يكن قد أتمّ عبارته بعد ، عندما انطلقت قبضة الكائن تحطم الأسطوانة فى عنف مباغت ، لتقبض أصابعه على عنق أحد الشبان الأربعة ، قبل أن ينهض الكائن فى حركة حادة ، فصرخ الشاب الأول :

- رباه !.. لقد نهض .

وانطلقت أشعة مسدسه الليزرى تضرب الكائن ، ولكنها ارتطمت فى درعه القوى ، وارتدّت عنه فى عنف ، فى حين ألقى الكائن الشاب الذى يمسك به ، فارتطم بزميله ، وسقط الاثنان أرضًا ..

وفى حركة سريعة ، وثب الكائن خارج الأسطوانة الكبيرة ، وبدا أشبه بعملاق أسطورى رهيب ، وهو يواجه الشبان الأربعة ..

وبكل عنف ..

وقسوة ..

* * *

تطلّع (رمزى) إلى ساعته فى قلق ، قبل أن يقول لزوجته (نشوى) :

- هؤلاء الشبان تجاوزوا الزمن المقرّر لهم هذه



المرة ، ولم أتلق منهم رسالة واحدة .

ابتسمت ، قائلة :

- أنت تعرف روح الشباب .. الفضول يستغرقهم دائمًا ، فينسون كل المواعيد والارتباطات .

نهض إلى جهاز الاتصال ، وهو يقول :

- ليس هؤلاء .. إنهم فريق عسكرى ، والمفترض فيهم أن يلتزموا بكل القواعد .

وضغط زر الاتصال ، قائلاً :

- من القيادة إلى فرقة الاستكشاف رقم عشرة .. لماذا لم تعودوا فى الموعد المحدود ؟!.. ولِمَ لمْ نتلق منكم أية رسائل ؟!

أتاه صوت قائد السيارة الفضائية ، وهو يقول :

- من الفرقة (عشرة) إلى القيادة .. الزملاء خرجوا لاستكشاف كهف جبلى ، وأنا فى انتظار عودتهم .

قال (رمزى) فى دهشة :

- كهف جبلى ؟!.. ولماذا لم تبلغوا بوجوده ، قبل البدء فى استكشافه ؟!

تنحنح الشاب فى حرج ، وهو يقول :

- لقد رأينا أنه من الأفضل أن ...

تنحنح مرة أخرى ، قبل أن يتمّ عبارته ، وبدا من

الواضح أنه يعجز عن إيجاد جواب قانونى مناسب ، فقال ( رمزى ) فى غضب :

- تصرفكم هذا سخيف وغير مسئول ، وسأحاسبكم عليه حين عودتكم .. اتصل بهم ، واطلب منهم العودة فورًا .

تنحنح الشاب مرة أخرى ، قبل أن يقول :

- لقد أجروا اتصالاً منذ ربع الساعة تقريبًا أيها القائد ، وقالوا : إنهم توصلوا إلى كشف مدهش .

سأله ( رمزى ) فى اهتمام :

- كشف مدهش ؟!.. أى كشف هذا ؟

أجابه الشاب :

- لست أدرى بالتحديد ، فقد انقطع الـ ...

بتر عبارته بغتة ، ليصرخ :

- رباه !.. ما هذا الشىء ؟

صاح به ( رمزى ) :

- ماذا هناك يا رجل ؟!.. ماذا حدث ؟

ولكنه لم يتلق أى جواب ..

لقد انقطع الاتصال هذه المرة ..

انقطع تمامًا ..

* * *



## ٢ - الضياع ..

« من الحوامة الفضائية إلى القاعدة .. لم نعثر على أدنى أثر للفرقة المفقودة .. حول .. »

أطلقت الحوامة الفضائية هذا النداء ، وهى تحلق فى سماء المريخ ، فوق منطقة القطب ، وتدور حولها للمرة الخامسة ، فاستقبل ( رمزى ) العبارة ، فى مقر القيادة ، وقال فى توتر شديد :

- ولكن هذا مستحيل !.. إننا نتحدث عن خمسة من شبابنا ، وسيارة فضائية من الطراز المتوسط ، ولا يمكن أن يختفى هؤلاء هكذا ، وسط جبال المريخ ، دون أن يتركوا خلفهم أثرًا واحدًا .. ابحث عن جثة ، حطام .. خوذة .. أو حتى عن جزء من زى فضائى .

كرر قائد الحوامة فى صبر :

- لا يوجد أدنى أثر .. لقد فحصنا المنطقة خمس مرات ، بوساطة المرقاب المقرب ، ولم نعثر على شىء .

خفض ( رمزى ) بوق جهاز الاتصال ، وهو يقول متوترًا :

- ولكن هذا مستحيل !.. مستحيل !
سألته ( نشوى ) ، وهى تحاول إخفاء آلام بطنها :
- ألم يعثروا عليهم بعد ؟!
تنهّد ، وهو يهزّ رأسه نفيًا ، قائلا :
- لم يعثروا على أدنى أثر لهم ، وكأنما تبخروا أو تلاشوا ، وسط جبال المريخ .
سألته متوترة :
- ما الذى أصابهم فى رأيك ؟
أجابها ، وهو يقلب كفيه :
- لست أدرى .. لا يمكننى حتى الاستنتاج .. كل ما أعرفه هو أنهم توصّلوا إلى كشف ما ، ثم ...
بتر عبارته بغتة ، وهو يهتف :
- ربّاه !.. الكشف .
ثم التقط بوق الاتصال ، مستطردًا فى انفعال :
- من القاعدة إلى الحوّامة الفضائية .. ابحثوا عن كهف وسط الجبال .
أجابه قائد الحوّامة فى دهشة :
- كهف ؟!.. هنا .. فى المريخ ؟!
أجابه ( رمزى ) فى حدة :
- نعم .. المرة الأخيرة ، التى شوهدوا فيها ، كانوا



بالقرب من كهف ما .. حاول البحث عن الكهف ، وربما تعثرون عليهم هناك ..
صمت قائد الحوّامة الفضائية لحظة ، قبل أن يقول :
- فليكن .. سنبحث عن ذلك الكهف .
أنهى ( رمزى ) الاتصال ، وهو يزفر ، قائلا :
- كم أفتقد ( نور ) .
أومأت برأسها موافقة ، وأضافت :
- وأنا أيضًا ؛ فلو كان هنا ، لتوصّل إلى استنتاج منطقى حتمى .
قال ، وهو يتراجع بمقعده :
- ليس بهذه البساطة .. ( نور ) يحتاج إلى المعلومات ، قبل أن يتوصّل إلى استنتاجه ، وكلنا نفتقر إلى هذه المعلومات .
قالت فى اهتمام :
- ولكننا نعرف أنهم عثروا على كهف ما ، وتوصّلوا داخله إلى كشف جديد ، ثم اختفوا ، ومن الواضح أن لذلك الكشف صلة بالاختفاء .
قال متوترًا :
- أين ذهبت السيارة الفضائية إذن ؟.. إنها لم تدخل إلى الكهف حتمًا ، فكيف اختفت أيضًا ؟!

عقدت حاجبيها ، قائلة :

ـ هناك حتمًا تفسير ما .

سأل فى حدة :

ـ عظيم .. وما هو ؟!

تحسست بطنها مرة أخرى ، قبل أن تشير بسبابتها ، قائلة :

ـ ربما سقطت فى حفرة ما ، أو ...

بترت عبارتها بغتة ، وهى تمسك بطنها فى قوة ، هاتفة :

ـ ( رمزى ) .. إننى أشعر بألم .. ألم كبير .

قفز إليها ، صائحًا :

ـ ماذا يحدث ؟!

صاحت ، وهى تتشبث به فى ألم :

ـ بطنى يا ( رمزى ) .. بطنى .. الألم هائل .. إننى ...

ودارت عيناها بغتة فى محجريهما ، وبترت عبارتها ، لتهتف :

ـ آه .. ( رمزى ) ..

ثم هوت بين ذراعيه فاقدة الوعى ، فصاح فى انزعاج :



ـ ( نشوى ) .. يا إلهى ؟.. ( نشوى ) .

وضغط جهاز الاتصال فى سرعة ، مستطردًا :

ـ أرسلوا حوامة الإسعاف على وجه السرعة .. زوجتى فقدت الوعى .

وحمل ( نشوى ) ، وراح يعدو بها عبر ممر مركز القيادة ، ليلتقى بحوامة الإسعاف عند المهبط ..

ومن خلفه ، ارتفع أزيز جهاز الاتصال ، وانبعث منه صوت قائد الحوامة ، وهو يقول :

ـ من الحوامة إلى القيادة .. لقد عثرنا على ذلك الكهف .. سنهبط لفحص المنطقة كلها .. حول .

وتكرر النداء ثلاث مرات ، دون ملل ..

ودون جواب ..

* * *

انعقد حاجبا قائد الحوامة ، وهو ينهى الاتصال ، قائلاً :

ـ ماذا حدث ؟.. إنهم لا يجيبون النداء .

أجابه مساعده :

ـ لا عليك .. المشكلة أن لدينا جهاز استقبال واحد فى القيادة ، ولو نهض القائد ( رمزى ) لشأن ما ، لا نجد من يستجيب للنداء .

دار بالحوَّامة دورة أخرى ، بحثا عن منطقة صالحة للهبوط ، ثم اتجه إليها مباشرة ..

وافقه قائد الحوَّامة بإيماءة من رأسه ، قائلا :

- أنت على حق .. دعنا نهبط لفحص ذلك الكهف ، والمنطقة المحيطة به ، ثم نرسل إشارة أخرى .

دار بالحوَّامة دورة أخرى ، بحثًا عن منطقة صالحة للهبوط ، ثم اتجه إليها مباشرة ، وهبط فيها عموديًا ، قبل أن يقول لمساعده :

- المكان يبدو كئيبًا .. أليس كذلك ؟

ضحك مساعده ، قائلا :

- ألم تتكيَّف على ذلك الطقس الأحمر بعد ؟!

أجابه القائد ، وهو يغادر معه الحوَّامة :

- بلى ، ولكننى مازلت أشتاق لسمائنا الزرقاء الجميلة ، وجو أرضنا المنعش .

هتف المساعد :

- كلنا هذا الرجل يا صديقى .. كلنا هذا الرجل .

تركا الحوَّامة وحدها ، واتجها معًا إلى الكهف ، وتوقفا لحظات عند مدخله ، ثم أشار قائد الحوَّامة إلى الداخل ، قائلا :

- إنه يبدو كهفًا عاديًا .

أجابه المساعد :

- ولكن فرقة استكشافية كاملة اختفت فيه .

هز القائد رأسه ، قائلا :

- لست أدرى كيف يمكن أن يحدث هذا ؟.. ربما سقطوا داخل حفرة فيه مثلا .

صمت مساعده لحظات مفكرا ، قبل أن يقول :

- ربما .. ينبغى أن نخطو داخله فى حذر إذن ، حتى لا تزل أقدامنا ، ونسقط مثلهم .

دلفوا إلى الكهف فى حذر وبطء ، وهم يفحصون موطئ أقدامهم فى كل خطوة ، ثم لم يلبث قائد الحوامة أن قال :

- مصباحانا لا يكفيان لإضاءة المكان .. نحتاج إلى ضوء أكثر قوة .

سأله مساعده فى اهتمام :

- مثل ماذا ؟

أجابه بسرعة :

- مثل المصباح الكبير فى الحوامة ، الذى نستخدمه للبحث الليلى .

قال المساعد فى دهشة :

- وكيف يمكننا استخدامه هنا ؟!.. هل سندخل الحوامة إلى الكهف ؟!

ضحك القائد ، قبل أن يقول :



- كلا بالطبع ، ولكن لدينا مائة متر من الأسلاك فى الحوامة ، يمكننا بوساطتها نقل المصباح إلى هنا .

تضرج وجه المساعد بحمرة الخجل ، وهو يقول :

- آه .. كيف نسيت هذا ؟

ربت القائد على كتفه ، قائلا :

- لا عليك يا رجل .. كلنا ننسى .

ثم اصطنع المرح ، مستطردًا :

- هيا .. سنذهب لإحضار المصباح معًا .

غادرا الكهف ، وعادا أدراجهما ، إلى حيث تركا الحوامة ، وما إن اقتربا من المكان ، حتى انتفض القائد كالمصعوق ، وهتف :

- رباه !.. أين الحوامة ؟

قالها ، وهو يحدق فى المكان ، الذى كانت تحتله الحوامة منذ قليل ..

وكان ذلك المكان خاليًا ..

خاليًا تمامًا ..

لقد اختفت الحوامة الفضائية ..

وبلا أثر ..

* * *

ابتسم طبيب المركز الطبى الصغير ، فى المستعمرة المريخية ، وهو يعود إلى مقعده ، ويقول لـ ( رمزى ) :

ـ لا داعى للقلق أيها القائد .. زوجتك تعانى من آلام طبيعية .

سأله ( رمزى ) فى اهتمام :

ـ هل تعنى أنها آلام متعلقة بالحمل ؟

أومأ الطبيب برأسه إيجابًا ، وأجاب :

ـ هذا صحيح .

ثم مال إلى الأمام ، مستطردًا بابتسامة كبيرة :

ـ كل ما فى الأمر أن طفلك يصرّ على الخروج إلى عالمنا مبكرًا .

تراجع ( رمزى ) ، هاتفًا :

ـ حقًا ؟!

أومأ الطبيب برأسه إيجابًا مرة أخرى ، وقال :

ـ نعم .. الفحوص التى أجريناها ، تؤكّد أن طفلك سيصل خلال أسبوع على الأكثر .

قال ( رمزى ) فى سعادة :

ـ يا لها من بشرى !.. أشكرك يا سيّدى .

ثم تراجع فجأة ، قائلًا فى قلق :

ـ ولكن هذا الإنجاب المبكر .. ألا يضرّ الطفل أو الأم ؟

هزّ الطبيب رأسه نفيًا ، وقال :



ـ مطلقًا .. يبدو أن مناخ المريخ أثّر قليلًا فى الحمل وفى تطورات الجنين داخل الرحم ، فالفحص بالموجات فوق الصوتية يشير إلى أنه مكتمل النمو أو يكاد .. سيولد بعد سبعة أشهر من الحمل فعليًا ، إلا أنه يبدو كمن أكمل شهور الحمل التسعة .

قال ( رمزى ) فى دهشة :

ـ إنها حالة نادرة بحق .

أجابه الطبيب :

ـ هذا صحيح ، ولكن طفلك أوّل طفل بشرى يولد فى الفضاء ، وكنا نتوقّع أنه سيختلف عن الأطفال العاديين حتمًا ، وبعد مولده سنفحصه جيدًا ، وندرس هذه الاختلافات ، و ...

قاطعه صوت ( نشوى ) ، وهى تقول فى صرامة :

ـ مستحيل !

التفت إليها الطبيب فى دهشة ، وهى تتابع فى عصبية :

ـ ليس لدى أدنى استعداد لأن أجعل من طفلى فأر تجارب .

قال الطبيب فى دهشة :

ـ فأر تجارب ؟!.. أى قول هذا يا سيّدتى ؟. المفترض

أنك ذات عقلية علمية ، ويمكنك استيعاب الـ ...

قاطعته فى حدة :

- مستحيل !.. لن يشهد ابنى ما شهدته من عذاب قط .

قال الطبيب فى دهشة أكبر :

- ولكن يا سيدتى ..

قاطعه ( رمزى ) هذه المرة ، قائلا :

- معذرة يا سيدى الطبيب ، ولكن زوجتى مرت بظروف خاصة ، جعلتها تأنف من فكرة إجراء أية تجارب على البشر .

ثم نهض يلتقط يد زوجته ، مستطردا :

- أشكر لك ما فعلته ، وأعدك أن نحضر لإعادة فحصها غدا بإذن الله .

وغادر معها المركز الطبى ، وهو يربت على كتفها ، هامسًا فى حنان :

- اطمئنى يا عزيزتى .. لن يؤذى أحدهم ابننا قط .. أعدك بهذا .

استمعت إليه ( نشوى ) فى صمت ، وقلبها يخفق فى عنف ..

كانت تستعيد ذكرى ذلك الكابوس ، الذى هاجم



أحلامها أكثر من مرة ، بشأن طفلها القادم ..

كابوس كان يثير الرعب فى نفسها ، ويمنحها شعورا بأن طفلها القادم لن يكون طفلا طبيعيًا ..

لن يكون كذلك أبدا ..

انتزعها من شرودها صوت ( رمزى ) ، وهو يقول :

- أعتقد أنه من الضرورى أن أعود إلى مركز القيادة ؛ لمتابعة عملية البحث عن الفرقة المفقودة .. سأوصلك إلى المنزل ، ثم أذهب إلى هناك .

وربت على خدها ، مستطردًا فى حنان :

- احصلى على قدر مناسب من النوم .. طفلنا القادم يحتاج إلى هذا .

أومأت برأسها إيجابًا فى صمت ، دون أن تفصح له عن خوفها من النوم ..

النوم ، الذى يجلب لها ذلك الكابوس الرهيب ..

الكابوس الذى يمزق مشاعرها كل ليلة ..

وبلا رحمة ..

* * *

اتسعت عينا قائد الحوامة ومساعده ، وهما يحدقان فى المكان ، الذى تركا فيه الحوامة ، التى اختفت تماما ، دون أن تترك خلفها أدنى أثر ..

وفى ذهول ، هتف المساعد :

- مستحيل !.. أين ذهبت الحوّامة ؟!

تلفّت القائد حوله فى دهشة ، قائلا :

- إننا لم نخطئ المكان .. أليس كذلك ؟!

أجابه المساعد فى توتر شديد :

- لم يكن هناك مكان سواه يصلح للهبوط .

دارا حول نفسيهما أكثر من مرة فى حيرة وتوتر ، قبل أن يقول القائد :

- هناك تفسير حتمًا للأمر .. لا يمكن أن تختفى حوّامة كاملة كهذه ، دون أن تترك خلفها أدنى أثر .

قال مساعده ، وهو يتطلّع إلى ساعته فى قلق عارم :

- هناك مشكلة أكثر خطورة ، فالأكسجين الذى نحمله ، فى هذا الزى الفضائى ، لا يكفى لأكثر من ساعة واحدة ، وبدون الحوّامة ، نحتاج إلى أكثر من هذه الساعة ، للعودة إلى المستعمرة ، وليس لدينا جهاز اتصال مناسب ، لطلب نجدة منها .

اتسعت عينا القائد فى ارتياع ، وهو يقول :

- هل تعنى أننا ...

قاطعه المساعد ، مكملا :

- نعم يا سيّدى القائد .. لو لم نعثر على الحوّامة ، ستكون هذه نهايتنا .



ران عليهما صمت رهيب ، وكلاهما يحدّق فى وجه الآخر ، قبل أن يغمغم القائد :

- اسمع يا رجل .. لست مستعدًا للاستسلام ، تحت أية ظروف .. لو أن مخزون الأكسجين لدينا لا يكفى للوصول إلى المستعمرة ، وأجهزة الاتصال غير مناسبة لـ ...

بتر عبارته بغتة ، عندما لاحظ نظرة الرعب ، التى أطلّت من عينى مساعده ، وهو يرتدّ فى حركة عنيفة ، فسأله فى توتر :

- ماذا حدث يا رجل ؟!

أشار الرجل بأصابع مرتجفة إلى نقطة ما خلف القائد ، الذى التفت إلى حيث يشير مساعده ، قبل أن يشهق فى قوة ، ويرتدّ كالمصعوق ..

فأمامهما مباشرة ، كان يقف ذلك الكائن المدرّع ، وعيناه الحمراوان تتألّقان بشدة ..

وبسرعة ، انتزع المساعد نفسه من ذهوله ، واستلّ مسدسه الليزرى ، وهو يزيح القائد جانبًا ، صائحًا :

- ابتعد يا سيّدى .

وأطلق أشعته نحو المدرّع ..

وأصابت الأشعة صدر المدرّع مباشرة ، ثم ارتدّت

عنه فى عنف ، فى حين تحرك الكائن فى بطء حازم نحوهما ..

ومرة أخرى ، أطلق المساعد أشعة مسدسه الليزرى ، واشترك معه القائد ..

وارتدت خيوط الأشعة كلها عن صدر المدرع ، ورأسه ، وعنقه ..

ومع ارتداداتها العنيفة ، أصاب خيط من خيوط الأشعة ساق المساعد ، الذى صرخ فى رعب :

- رباه !.. لقد تمزق الزى أيها القائد .

نطقها ، وراح يصرخ فى ألم هائل ، ووجهه يحتقن ويحتقن ، وعيناه تجحظان فى شدة ، فهتف القائد :

- لا .. لا .. ليس هذا .

ولكن فجأة ، انفجر رأس المساعد داخل الخوذة ، التى غمرتها الدماء ، فتراجع القائد فى رعب هائل ، وأخفى عينيه لحظة ، ولم يكد يفتحهما ، حتى وجد العينين الحمراوين المتألقتين أمامه مباشرة ..

وبحركة عنيفة ، صرخ القائد :

- أيها الوغد .. أنت المسئول عن هذا .. أنت الـ ...

لطم الكائن مسدس القائد فى قوة ، فأطاح به بعيدًا ، ثم قبض على ذراعى الرجل ، وحمله على ظهره ، كما لو كان طفلا صغيرًا .



وبكل قوته ، راح القائد يقاوم ، ويقاوم ، إلا أن ذلك الكائن لم يوله أدنى اهتمام ، وهو يتجه به إلى الكهف ، ويغوص فيه طويلا ، حتى بلغ ذلك الممر ..

ومع مرأى الممر ، اتسعت عينا القائد فى ذهول ، وهو يقول :

- رباه !.. ما هذا ؟!

عبر به الكائن الممر الطويل ، حتى وصل إلى القاعة الهائلة ، فصرخ القائد :

- مستحيل !.. لا يمكن أن يكون هذا حقيقة .

التقط المسماع الداخلى لزيه الفضائى تأوهات وأنات ألم بشرية ، فدارت عيناه فى المكان ، وهو يقول :

- ما هذا ؟!.. ما الذى يحدث هنا ؟

التقط بصره تلك الأسطوانات الزجاجية الضخمة ، التى استقرت داخلها المخلوقات الفضائية ، ثم توقف عند الأسطوانات الخمس الأولى بالتحديد ..

وداخل تلك الأسطوانات الخمس ، كان يرقد الشبان الخمسة ، كل إلى جوار واحد من تلك المخلوقات الفضائية ..

وكانت هناك أسلاك وخراطيم دقيقة ، توصل جسد كل شاب بجسد الكائن الفضائى ، الذى يشاركه الاسطوانة ..

والمدهش أن الشبان الخمسة كانوا على قيد الحياة ..

لم يكن أحدهم يرتدى زيه الفضائى ، ولكنهم كانوا على قيد الحياة ..

ولم يفهم القائد هذا ..

لم يفهم كيف يمكنهم البقاء على قيد الحياة ، فى جو خال من الأكسجين ..

ولكنه فهم أنهم يعانون آلاما شديدة ..

آلاما جعلتهم يتأوهون على هذا النحو الرهيب ، الذى يكاد ينخلع له قلبه ..

وفى هدوء ، حمله الكائن إلى الأسطوانة السادسة فى الترتيب ، وفتح قمتها فى هدوء ، ثم انتزع عنه خوذته فى عنف ..

وصرخ القائد ، مع انتزاع خوذته :

- لا .. إنك تقتلنى أيها الوغد .

لم يكد ينطقها ، حتى انتبه إلى أنه يتنفس على نحو طبيعى ، ولا يعانى أية اختلافات فى الضغط ..

ولكن دهشته لهذا لم تمنعه من المقاومة ..

لقد قاوم فى استماتة ، والكائن ينتزع عنه زيه الفضائى ، ثم يدفعه عنوة إلى جوار الكائن السادس ..

ولم تكن المقاومة مجدية فى الواقع ..



فقد كانت لذلك الكائن قوة هائلة خرافية ، تفوق قوة فرقة من المقاتلين الأشداء ..

وفى برود ولا مبالاة ، انتزع الكائن من الفضائى ، الراقد داخل الأسطوانة السادسة ، عددا من الأسلاك والخراطيم الدقيقة ، ودفعها فى عنق القائد ، وصدره ، وفى عروقه ، واخترق بأحد الأسلاك عظمة فخذه ، غير مبال بصرخات الألم الرهيبة ، التى انطلقت منه ..

وعندما انتهى من عمله ، أغلق القبة الزجاجية فى هدوء ، وانصرف ..

أما القائد ، فقد جحظت عيناه فى شدة ..

الآن فقط أدرك سر التأوهات فى القاعدة ..

لقد كانت تلك الأسلاك والخراطيم الدقيقة تنتزع منه حياته ، وكل الحيوية التى تمتلئ بها خلاياه ، وكل قطرة دم فى جسده ، وكل نخاع عظامه ..

وكانت الآلام التى يشعر بها رهيبة ..

ومتصلة ..

إلى الأبد .

* * *

# ٤- حياة بحياة ..

رفع القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية وجهه ، عن الأوراق التى انهمك فى مطالعتها طويلا ، ليستقبل الدكتور ( ناظم ) فى حجرته ، وهذا الأخير يدخل فى خطوات واسعة ، قائلا :

- ماذا حدث أيها القائد ؟!.. لا ريب أنه أمر عاجل للغاية ، حتى أنك استدعيتنى فى هذه الساعة المتأخرة .

أشار إليه القائد الأعلى بالجلوس ، وهو يقول :

- إنه أمر عاجل بالفعل ، وبالغ الخطورة أيضًا .

سأله الدكتور ( ناظم ) فى توتر :

- وما هو ؟.. أخبرنى بالله عليك .

قال القائد الأعلى :

- ما آخر معلوماتك عن مستعمرة المريخ ؟

أجابه الدكتور ( ناظم ) فى حذر ، وقلبه يتوجّس خيفة من السؤال :

- إنها أول مستعمرة فضائية مصرية ، ولقد أرسلنا إليها ثلاثين من أفضل شبابنا ، للتدرُّب على سبل القتال الفضائى ، ولدراسة كوكب المريخ وسبل الحياة على



سطحه ، تمهيدًا لبدء المشروع الضخم ، الذى تمَّ طرحه فى الهيئة العلمية الدولية ، والخاص بمحاولة تعديل مناخ الكوكب ، ليصبح صالحًا للحياة البشرية(*) .

وافقه القائد الأعلى بإيماءة من رأسه ، وقال :

- معلوماتك صحيحة تمامًا يا دكتور ( ناظم ) ، ولكن أضف إليها أن الشبان الثلاثين ، الذين أرسلناهم إلى المريخ ، انخفض عددهم إلى ثلاثة وعشرين فحسب .

انعقد حاجبا الدكتور ( ناظم ) ، وهو يقول :

- وكيف حدث هذا ؟

مال القائد نحوه ، قائلاً :

- سأخبرك .

وراح يروى له ما حدث على سطح المريخ ، كما بلغه عبر رسالة سرية ، بثّها ( رمزى ) على موجة خاصة ، بعد اختفاء الحوّامة وقائدها ومساعده ، دون أن يتركا خلفهما أدنى أثر ..

وفى توتر شديد ، استمع الدكتور ( ناظم ) إلى القصة كلها ، ثم أشار بيده ، قائلا فى انفعال ..

(*) معلومة صحيحة ، وتتم دراسة الفكرة بجدية ، لتحويل ثانى أكسيد الكربون إلى أكسجين وكربون ، لتغيير مناخ الكوكب تمامًا .

- سيدى القائد .. هل تعنى أنه أصبح لدينا مثلث (برمودا) آخر فى المريخ(*) ، كل من يقترب منه يختفى ، دون أن يترك خلفه أى أثر ؟!

أومأ القائد الأعلى برأسه إيجابًا ، وهو يجيب :

- هذا صحيح ، حتى هذه اللحظة يا دكتور ( ناظم ) ، فرسالة ( رمزى ) تؤكد أن حالات الاختفاء هذه ارتبطت بالعثور على كهف غامض ، وهذا يعنى أن ذلك الكهف يحوى شيئًا ما ، هو المسئول عن حالات الاختفاء والوسيلة الوحيدة لكشف اللغز ، تعتمد على البحث عن الكهف ، وفحصه جيدًا .

سأله الدكتور ( ناظم ) :

---

(*) مثلث برمودا : هو مثلث وهمى ، فى المحيط الأطلسى ، تبلغ مساحته ما يقارب ٧٧٠ ألف كيلو متر مربع ، يقع رأسه الشمالى فى جزيرة ( برمودا ) ، وهى مستعمرة بريطانية ، ويقع رأسه الجنوبى الشرقى فى ( بورتوريكو ) ، وهى إدارة عسكرية أمريكية ، أما رأسه الجنوبى الغربى ، ففى ( ميامى ) بولاية ( فلوريدا ) الأمريكية ، ويعتبر هذا المثلث أكثر بقاع الأرض غموضًا ، منذ اختفت فيه خمس طائرات تابعة للبحرية الأمريكية ، بقيادة الليوتينانت ( تشارلز تايلور ) ، دون أن تترك خلفها أدنى أثر ، أو يتم العثور عليها فيما بعد .



- ولماذا لم يفعل ( رمزى ) هذا ؟

أشار القائد الأعلى بسبابته ووسطاه ، وهو يقول :

- لسببين .. أولهما : أن الليل قد هبط هناك ، وعمليات الفحص هذه تحتاج إلى جهد كبير ، وإضاءة قوية ، والأفضل انتظار شروق الشمس للبدء فيها . وثانيهما : أنه يخشى أن تنتهى عملية الفحص هذه بكارثة ؛ نظرًا لأنه يجهل سبب اختفاء الرجال السبعة ومصيرهم ، ولا يمكنه أن يعرض الآخرين لخطر مجهول ، دون دراسة الأمر ، أو التوصل إلى معلومات جديدة .

صمت الدكتور ( ناظم ) لحظات مفكرًا ، قبل أن يقول :

- لو أردت رأيى يا سيدى القائد ، فالأفضل أن تقوم فرقة انتحارية خاصة بفحص هذا الكهف ، على أن يتم تزويدها بأقوى الأسلحة والمعدات ، فظروف الموقف كلها تشير إلى أن الخطر الذى نبع من ذلك الكهف ، أقوى مما ينبغى .

سأله القائد الأعلى فى اهتمام :

- هل تعتقد هذا ؟

أجابه فى حزم :

- بالتأكيد ، ودليلى على هذا هو اختفاء السيارة

والحوّامة الفضائيتين ، فالأمر لم يقتصر على البشر ، وإنما على معدّات ضخمة أيضًا ، يدهشنى أن تختفى بلا أثر .

زفر القائد الأعلى ، وهو يهزّ رأسه فى اهتمام ، قبل أن يقول :

– إننا نتفق فى الرأى بالفعل يا دكتور ( ناظم ) ، ولكن الأمر ليس بالبساطة التى تتصوّرها ، فإرسال فرقة انتحارية إلى المريخ ، يحتاج إلى عشرة أيام على أقل تقدير ، والله ( سبحانه وتعالى ) وحده يعلم ، ما الذى يمكن أن يحدث ، فى هذه الأيام العشرة .

قال الدكتور ( ناظم ) فى سرعة :

– فليستخدم ( رمزى ) الشباب ، الذين تم تدريبهم فى المستعمرة المريخية إذن .

مطّ القائد الأعلى شفتيه ، قائلاً :

– لست أعتقد أنهم تلقّوا من التدريبات ما يكفى ، للقيام بمهمة كهذه .

ثم تراجع فى مقعده ، وصمت لحظات مفكرًا ، قبل أن يتابع :

– كل ما يمكن فعله الآن ، هو أن نطالبهم بالابتعاد



عن موقع ذلك الكهف ، حتى تصل إليهم الفرقة الانتحارية .

وتنهّد مرة أخرى ، قبل أن يضيف :

– المهم أن يقتنع الكهف بالفكرة نفسها ، ويبتعد عنهم بدوره .

ولم يفهم الدكتور ( ناظم ) ما يعنيه هذا القول ..

لم يفهمه بالفعل ..

* * *

« ( نشوى ) تلد .. »

خفق قلبها فى عنف ، وهى تسمع ذلك الهتاف ، يتردّد فى المركز الطبى الصغير للمستعمرة المريخية ، وهم ينقلونها بسرعة إلى حجرة الولادة ..

وأدهشها أنها لم تشعر بآلام الوضع ، التى قرأت عنها كثيرًا ..

صحيح أنه كان هناك شىء يتحرّك داخلها فى عنف ، إلا أنها لم تشعر بالألم ، بالمعنى المعروف عنه ..

حتى حركتهم ، وهم يدفعونها إلى حجرة الولادة ، لم تبد لها واضحة أو محسوسة ..

كانت تشعر وكأنهم يدفعونها فوق وسادة هوائية ناعمة ..

وربما كانوا يفعلون هذا بالفعل ..

من يدرى ؟!..

المهم أنها أصبحت الآن داخل حجرة الولادة ، وها هو ذا الطبيب يتجه إليها ، وهو يخفى نصف وجهه بقطعة من الشاش النقى ..

ولا ريب أن ذلك القناع النصفى شفاف تمامًا ، فهى ترى ابتسامته تحته فى وضوح ..

والابتسامة لا تروق لها قط ..

إنها ابتسامة مقيتة متشفية ، ساخرة ..

ومرة أخرى ، خفق قلبها فى عنف ..

إنها تعرف سر ابتسامته هذه ..

إنه يريد ابنها ..

يريد أن يسرقه ..

يختطفه ..

يجرى عليه تجاربه ..

وفى ثورة ، صرخت :

ـ لا .. اتركوا طفلى .

ولكن الطبيب انقضّ عليها ، وهو يطلق ضحكة ساخرة عالية ..

ثم تراجع كالمصعوق ..



وارتجف جسدها فى عنف ..

ارتجف ، عندما وقع بصرها على الطفل الذى أنجبته ..

كان طفلًا ..

وهذا وحده أدهشها كثيرًا ..

لقد أجرت فحصًا مسبقًا ، أشار إلى أنها ستنجب طفلة ..

ولكن الفحوص تخطئ أحيانًا ..

والله ( سبحانه وتعالى ) وحده يعلم ما فى الأرحام ..

ولكن المخيف أنه ليس طفلًا عاديًا ..

لقد خرج منها ، لينقضّ على الطبيب فى قوة ، ويغرس مخالبه الطويلة فى معدته ..

وجحظت عينا الطبيب فى ألم ورعب ، تفجّرت الدماء لتغرق جسده كله ، وهو يطلق صرخة هائلة ..

وبكل الرعب فى أعماقها ، هتفت :

ـ لا .. هذا ليس طفلى .. مستحيل !

ومع هتافها ، التفت الطفل إليها ..

وانتفض جسدها فى عنف ..

لقد تطلع إليها بعينين حمراوين مستديرتين مخيفتين ، وهو يقول بصوت رهيب ، بدا وكأنه آت من أعماق قبر رطب قديم :

ـ أماه .

وصرخت :

ـ لا .. أنت لست طفلى .. لست طفلى .. لست طفلى ..

« ( نشوى ) .: استيقظى يا حبيبتى .. استيقظى .. »

امتزج صوت ( رمزى ) بصرخاتها ، واهتز جسدها فى قوة ، فقتحت عينيها لتحدق فى وجه زوجها لحظة ، قبل أن تنفجر باكية ، وتتعلق بعنقه ، فضمها إليه فى حنان وعطف ، وهو يهمس فى أذنها :

ـ أهو الكابوس نفسه ؟!

هزت رأسها نفيًا ، وهى تجيب :

ـ كلا .. إنه كابوس جديد .

وروت له كابوسها ، فاستمع إليها فى اهتمام ، قبل أن يقول :

ـ هذه الكوابيس انعكاس نفسى لخوف شديد يملأ نفسك يا حبيبتى ، فمع كل ما مررت به من تجارب رهيبة ، أصبحت تخشين أن يأتى طفلنا إلى العالم ، فيواجه أهوالاً مماثلة .

وضمها إليه ثانية ، وهمس فى أذنها :

ـ ولكن هذا لن يحدث بإذن الله .

بكت على كتفه ، قائلة :



ـ ومن أدراك ؟!.. ألم تسمع ذلك الطبيب ، وهو يطلب فحصه بعد مولده ؟!

أجابها فى هدوء :

ـ هذا سبب كابوسك الجديد ، ولكن لا أحد يمكنه أن يجبرك على هذا .. إنه طفلك ، ولابد من موافقتك لفحصه .

قالت مرتجفة :

ـ وماذا عن الأحداث الغامضة ، التى ارتبطت بقرب مولده ؟

ابتسم ، قائلاً :

ـ الكون لا يدور فى فلكنا يا حبيبتى .. هذه الأحداث لا شأن لها بطفلنا القادم .

أفرغت ما تبقى من دموعها على صدره ، وهى تقول :

ـ أنت على حق .. يبدو أننى أبالغ كثيرًا فى انفعالاتى .

ربت عليها فى حنان ، مغمغمًا :

ـ لا بأس يا عزيزتى .. لا بأس .. هذه التوترات أمر طبيعى ، فى الأيام الأخيرة للحمل .

جففت دموعها ، قبل أن تسأله ، محاولة تغيير الموضوع :

- ماذا فعلت بشأن الشبان السبعة ، الذين اختفوا اليوم ؟!

هزَّ رأسه فى أسف ، قائلاً :

- الموضوع يتجاوز قدرتنا كمستعمرة تدريب ، لذا فقد أبرقت إلى القيادة فى ( القاهرة ) ، ومازلت أنتظر أوامرهم .

سألته فى اهتمام :

- وهل يمكن للأمر أن ينتظر ؟

صمت لحظة ، قبل أن يهزّ رأسه ، ويقول :

- لست أدرى ، ولكننى أتمنى هذا ، فهناك احتمال أن تقتصر الظاهرة على المنطقة ، التى عثروا فيها على الكهف ، ولو كان هذا الاحتمال صحيحًا ، يمكننا انتظار وصول ( نور ) ، ليتولّى قيادة الموقف .

سألته فى قلق :

- وماذا لو لم يكن صحيحًا ؟!

زفر فى توتر ، قبل أن يجيب :

- فى هذه الحالة ستكون الأيام القادمة من أسوأ ما رأينا ، فى حياتنا كلها .

قالها ولاذ بالصمت ..

ولم تجد هى ما تنطق به ، فالتصقت به أكثر .



وعادت دموعها تجرى على وجهها ..

وفى صمت هذه المرة ..

* * *

انبعث بغتة أزيز متصل ، فى حجرة المراقبة ، فى المستعمرة المريخية ، فاعتدل مراقب الطوارئ الليلى ، وتطلّع إلى الشاشات الخمس أمامه ، قبل أن يغمغم فى حيرة :

- عجبًا !.. كل شىء يبدو هادئًا !.. لماذا انطلق أزيز الإنذار إذن ؟!

راقب الشاشات الخمس مرة أخرى ، ثم ضغط زر جهاز اتصال داخلى ، وهو يقول :

- ( أشرف ) .. ( حسن ) .. جهاز الإنذار انطلق ، ولكن الشاشات كلها لا تنقل شيئًا .. اخرجا لتفقُّد الأمر .

أجابه ( حسن ) فى ضيق :

- افحص المكان ثانية ، قبل أن نخرج .

أجابه المراقب فى حزم :

- لقد فحصته مرتين ، وأنتما تعرفان القواعد ، فى هذه الحالة .

قال ( أشرف ) :

- لا بأس .. لا بأس .. سنخرج لتفقُّد الأمر .

عاد المراقب إلى شاشاته ، يراقبها فى اهتمام شديد .
ورأى ( أشرف ) و ( حسن ) يخرجان من المستعمرة ، فى زيهما الفضائى ، والأول يقول :

ـ كل شىء يبدو هادئا .

أجابه ، عبر جهاز اتصال خاص :

ـ افحصا المنطقة خلف التلال ، فالشاشات لا تنقل المشهد هناك .

قال ( حسن ) :

ـ فليكن .. سنلقى نظرة ، ونعود أدراجنا .

أومأ برأسه موافقا ، وهو يغمغم :

ـ لا بأس .

وعاد يراقبهما على الشاشة ..

وفى خطوات هادئة ، اتجه الشابان إلى ما خلف التلال ، و ( حسن ) يقول لزميله :

ـ يا له من عمل مضجر !.. أراهنك على أننا لن نجد شيئا .

ابتسم ( أشرف ) ، قائلا :

ـ ما دام هذا عملنا ، فلننفذه دون اعتراض يا صديقى .

أومأ ( حسن ) برأسه ، قائلا :



ـ أنت على حق .

دارا حول التل ، وهتف ( حسن ) :

ـ ألم أقل لك ؟.. لا يوجد شىء هنا ..

لم يكد يكمل هتافه ، حتى انقض عليهما ذلك الكائن من أعلى ..

وكانت الانقضاضة مباغتة ، حتى أنهما سقطا فى عنف ، وطار مسدساهما الليزريان بعيدًا ، وصاح ( أشرف ) :

ـ هجوم .. إننا نواجه هجومًا .

استقبل المراقب صيحة ( أشرف ) ، فقفز من مقعده ، صائحًا :

ـ تراجعا بسرعة .. تراجعا .. عودا إلى المستعمرة .. لا تتورطا فى أى قتال .

ولكنه استقبل صرخة هائلة ، تحمل صوت ( حسن ) ، وأعقبها صوت ( أشرف ) يصرخ :

ـ ربّاه !.. ما هذا الشىء .. لقد أمسك ( حسن ) .. إنه يطاردنى .. النجدة .

وعلى الشاشة ، ظهر ( أشرف ) ، وهو يعدو ، محاولا العودة إلى المستعمرة ..

ثم ظهر خلفه ذلك الكائن ..

لم يكد يكمل هتافه ، حتى انقضَّ عليهما ذلك الكائن من أعلى ..

وشهق المراقب فى عنف ، واتسعت عيناه فى ذعر هائل ، وهو يحدّق فى المشهد ، فى حين توقّف الكائن ، وهو يحمل ( حسن ) على كتفه ، غير مبال بمقاومته ، وصوّب يده إلى ( أشرف ) ، فانطلقت من أصابعه صاعقة محدودة ، أصابت هذا الأخير ، فانتفض جسده فى عنف ، وهو يطلق صرخة ألم هائلة ، وهوى أرضًا ..

وأمام عينى المراقب المذعورتين ، تقدّم الكائن نحو ( أشرف ) ، وحمله فى يسر ، كما لو كان لعبة صغيرة ، ثم استدار مبتعدًا ، وصوت ( حسن ) يصل عبر جهاز الاتصال الداخلى ، وهو يصرخ :

ـ النجدة .. النجدة .. لا تسمحوا له بأخذى حيًّا .. النجدة .

وهنا انتفض المراقب ثانية ، ونفض عن نفسه كل ذعره وهلعه ، ثم قفز يضغط زرًا أحمر ، يحمل فوقه عبارة صغيرة ، تقول :

ـ للطوارئ القصوى .

ومع ضغطته ، انطلق الإنذار الكبير فى المستعمرة كلها ..

ولكن هذا لم يوقف الكائن ، الذى واصل طريقه فى

هدوء ، ليغوص فى ظلام ليل المريخ أكثر وأكثر ، ويختفى فيه تماما ..

بلا أثر ..

* * *

حدّق ( رمزى ) فى الشريط المسجّل ، الذى نقل أحداث الليلة كلها ، قبل أن يهتف :

- ربّاه !.. أى كائن هذا ؟.. ومن أين جاء ؟!

وأعاد عرض الشريط للمرة الخامسة ، فى حضور الجميع ، فى حين ران على قاعة العرض صمت رهيب ، والكل يراقب تلك المشاهد ، التى تنتهى بصوت ( حسن ) ، وهو يصرخ فى رعب هائل :

- لا تسمحوا له بأخذى حيًا .. النجدة .. النجدة .

وعلى الرغم من انتهاء عرض الشريط ، ظلّ الصمت يخيّم على القاعة كلها ، إلى أن قطعه ( رمزى ) ، قائلا :

- الآن رأيتم كل ما حدث ، فما تعليقكم ؟

عاد الصمت إلى المكان لحظات أخرى ، قبل أن يقول أحد الشبان :

- من الواضح أن الأحداث لم تعد تقتصر على منطقة الكهف ، وأنها امتدّت إلى هنا .

وهتف آخر :

- لم يعد هناك أمان ، فى أى مكان من الكوكب .



وقال ثالث :

- ترى كم مخلوقا كهذا يجول حولنا ؟

أما الرابع ، فقال فى توتر شديد :

- ولماذا لم يقتل ( أشرف ) و ( حسن ) ؟!.. لماذا تركهما على قيد الحياة ؟ وإلى أين اصطحبهما ؟!

توقّف ( رمزى ) عند هذه النقطة ، وأشار إليه ، قائلا :

- نعم .. هذا هو السؤال ، الذى يثير اهتمامى بشدة ، والذى أعتقد أنه سيحمل حل اللغز كله .. لماذا يُبقى على حياة ضحاياه ؟.. لماذا ؟!

وكان ( رمزى ) على حق ..

هذا هو السؤال ..

* * *

صرخ ( حسن ) فى رعب ، وهو يتطلّع إلى تلك القاعة الهائلة ، وتأوهات رفاقه تصمّ أذنيه ، وتزلزل كيانه كله ..

وفى فزع هائل ، حدّق فى الأسطوانات الخمس الأولى ، وفى رفاقه داخلها ، وقد تحوّلوا إلى أجسام منكمشة ممصوصة ، كما لو أنهم يعانون من جوع شديد طويل ..

والأدهى أنهم كانوا على قيد الحياة ..

ضلوع بارزة ، وعيون غائرة زائفة ، ووجنات ممصوصة وعضلات ضامرة ..

وآلام رهيبة ..

آلام تفصح عن نفسها ، مع التأوهات المتصلة ، وتلك الحركة المحدودة ، التى توحى بعذاب لا حدود له ..

ولم يكن ( حسن ) يتصوَّر نفسه أبدًا فى هذا الموقف ..

لذا فقد ظلّ يصرخ ويقاوم ، بكل ما يمتلك من قوة ..

ولكن الكائن لم يبال به قط ..

لقد انتزع زيه الفضائى ، ووضعه داخل الأسطوانة الكبيرة ، إلى جوار أحد الكائنات الفضائية ، وراح يوصل الأسلاك والخراطيم الدقيقة ، و ( حسن ) يصرخ فى ألم هائل ، والذعر يملأ نفسه لمصيره المنتظر ..

ولكن الشىء الذى لم يدركه أو يتصوَّره ( حسن ) ، هو أن العديدين سيشاركونه هذا المصير ، طبقًا للخطة التى يسير عليها الكائن ..

ليس فى المستعمرة المريخية وحدها ..

بل إن الخطة تتجاوز هذا بكثير ..

إنها تمتدّ إلى كل كائن على كوكب الأرض ..

كلهم بلا استثناء .

* * *



# ٥ ـ النـداء ..

ارتفع حاجبا الدكتور ( ناظم ) ، واتسعت عيناه فى ذهول ، وهو يتابع ذلك الفيلم ، الذى تمَّ بثه من المستعمرة المريخية ، وهتف :

ـ مستحيل !.. ذلك الشىء أشبه [illegible] ، يجمع البشر لغرض ما .

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، وهو يقول :

ـ السؤال هو : كيف وصل إلى المريخ ؟!.. وهل وصل وحده ، أم أنه هناك جيش من أمثاله ؟

أشار الدكتور ( ناظم ) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ بل السؤال هو : لماذا يُبقى على ضحاياه أحياء ؟!.. وإلى أين يحملهم ؟!

سأله القائد الأعلى فى اهتمام :

ـ ألديك فكرة محدودة ؟!

أجابه الدكتور ( ناظم ) :

ـ أعتقد أنه يحتاج إلى حياتهم .

اعتدل القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ كغذاء مثلاً ؟!

هزّ الدكتور ( ناظم ) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- هذا لا يستلزم بقاءهم على قيد الحياة .

ثم أضاف في اهتمام بالغ :

- أعتقد أنه يسعى خلف حياتهم نفسها .. خلف حيوية خلاياهم ، أو دمائهم ، أو بعض أعضائهم .

سأله القائد الأعلى فى حيرة :

- ولماذا ؟

أجابه بسرعة :

- ليمنحها لآخرين .. بعض بنى قومه ، أو كائنات شبه بشرية ، أو شىء من هذا القبيل .

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، وهو يقول :

- هذا يعنى أنه ربما يستخدم أجسادهم لإيقاظ أجساد أخرى .. يا إلهى !.. هذا أمر بالغ الخطورة بالفعل .

أومأ الدكتور ( ناظم ) برأسه موافقًا ، وقال فى حزم :

- أعتقد أن الوقت قد حان ؛ لإرسال الفرقة الانتحارية .

لوّح القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

- وهل تعتقد أننى لم أصدر أوامرى بهذا ، منذ اللحظة الأولى ؟!.. إنهم يعملون على قدم وساق ، منذ صباح أمس ، لإرسال الفرقة الانتحارية فى أسرع وقت



ممكن ، ولكن حتى مع الاهتمام الشديد ، والسرعة الفائقة ، سيحتاج الأمر إلى أسبوع كامل على أقل تقدير ، ولست أعتقد أن المستعمرة يمكنها الصمود لأسبوع آخر ، فى مواجهة خطر كهذا .

قال الدكتور ( ناظم ) ، فى قلق عارم :

- ولكن الشبان هناك يمكنهم التصدّى للخطر بعض الوقت .

تنهّد القائد الأعلى ، قائلاً :

- بل سيقدمون على ما هو أخطر من هذا .. لقد أصرّوا على القيام بحملة عسكرية محدودة ، ومواجهة ذلك المخلوق فى كهفه .

قال الدكتور ( ناظم ) فى قلق أكثر عنفًا :

- وهل تعتقد أنهم قادرون على هذا ؟

هزّ القائد الأعلى رأسه ، ومطّ شفتيه فى أسف ، قائلاً :

- كلاّ ، ولكن ( رمزى ) يؤكّد أنه غير قادر على منعهم ، مع كل ما يملأ نفوسهم من غضب وحماس .

ثم أشار بسبّابته ، مستطردًا :

- ولكن الأمر يحتاج - فى رأيى - إلى ما هو أكثر من القوة العسكرية .. إنه يحتاج إلى العقل والخبرة .

سأله الدكتور ( ناظم ) :

ـ ما الذى ترمى إليه بالضبط ؟!

أدار عينيه إليه ، وأجاب باسم واحد :

ـ ( نور ) .

وكان هذا جوابًا شافيا ..

* * *

« ها هو ذا الكهف .. »

أشار أحد الشبان العشرة ، الذين خرجوا فى الحملة العسكرية المحدودة ، إلى ذلك الكهف الجبلى المريخى ، من داخل المركبة الفضائية الكبيرة ، وهو ينطق هذه العبارة ، فتوقفت المركبة على الفور ، واستطرد الشاب فى حزم :

ـ سيبقى ثلاثة منا هنا ، لحماية المركبة ، ومراقبة مدخل الكهف طوال الوقت ، أما الباقون ، فسيصحبوننى إلى الداخل .

ورفع مدفعه الليزرى فى حزم ، مستطردًا :

ـ هيا بنا .

اتجه الشبان السبعة إلى الكهف ، وعبروا مدخله فى حذر شديد ، وراحوا يتوغلون فيه رويدًا رويدًا ، ومدافعهم الليزرية مشهورة متحفزة ، حتى بلغوا ذلك



الممر الاصطناعى ، فقال قائدهم متوترًا :

ـ من الواضح أننا وصلنا إلى الهدف يا رفاق .. اتبعونى ..

قالها ، وتقدّم نحو الجدار فى نهاية الممر ، وراح يتحسّسه فى حذر ، ثم قال فى حزم :

ـ هناك جزء متحرّك .

وضغط ذلك الجزء فى حذر ، فتحرّك الجدار بسرعة ، وغاص فى الفجوة ، كاشفًا تلك القاعة الهائلة ، التى اكتظّت بالأسطوانات الزجاجية الكبيرة ..

واتسعت العيون فى انبهار ذاهل ، وهى تحدّق فى ذلك المشهد الخرافى ، قبل أن يهتف قائد الشبان السبعة ، عبر جهاز اتصال قوى :

ـ ربّاه !.. إنهم رفاقنا هنا .. لقد صنع منهم وقودًا لتلك الكائنات الأخرى .. انظروا ماذا أصابهم ؟!

استقبل ( رمزى ) هذا القول ، فى مركز القيادة ، فهتف فى دهشة :

ـ صوّب آلة تصوير الفيديو إلى المشهد يا رجل ، وانقل إلىّ ما تراه .

أطاعه الشاب على الفور ، واتسعت عينا ( رمزى ) فى ذهول ، وهو يتابع المشهد ..

كانت القاعة هائلة الحجم ، على نحو لا يمكن تصوره ، وتحوى أكثر من عشرة آلاف أسطوانة ، يرقد داخل كل منها كائن فضائى ..

وداخل الأسطوانات الثمان الأولى ، استقرّ الشبان الثمانية ، الذين اختطفهم الكائن أحياء ..

وهتف ( رمزى ) ، أمام المشهد البشع :

- ربّاه !.. إنه يستهلك طاقتهم كلها ، ويمنحها لتلك الكائنات الأخرى .. لقد صنع منهم نوعًا من الغذاء ، لإيقاظ الآخرين .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى تركزّت آلة التصوير على ( حسن ) ، الذى راح بلوح بيده ، من داخل الأسطوانة الكبيرة ، وحركة شفتيه تصرخ بلا صوت :

- النجدة .. النجدة .

وهتف قائد الشبان السبعة :

- أنقذوه يا رفاق .. أسرعوا .

تحركَ الجميع نحو الأسطوانات الزجاجية ، التى تحوى أجساد رفاقهم الممصوصة ، و ...

وفجأة ، هبط ذلك الكائن من أعلى ..

ومع ظهوره المباغت ، أمام عدسة التصوير ، قفز ( رمزى ) من مكانه ، وصرخ :



- يا إلهى !.. إنه هو .

ثم صاح عبر جهاز الاتصال :

- أطلقوا النار .. لا تترددوا .

ولكن جهاز الاتصال نقل إليه صرخات عنيفة ، قبل أن ينقطع الاتصال تمامًا ، فصرخ ( رمزى ) :

- ربّاه !.. ماذا حدث ؟!.. ماذا حدث ؟

وفى نفس اللحظة ، التى انطلقت فيها صرخته ، كان ذلك الكائن يتلقّى حزم أشعة الليزر فى صدره بلا مبالاة ، وهو ينقضّ على الشبان السبعة فى عنف لا مثيل له ..

ولكنه كان حريصًا على حياتهم بشدة ..

هكذا تقول معلوماته ..

حياة كل منهم تساوى حياة واحد من الكائنات الفضائية الأخرى ..

ومع سقوط ثلاثة من الشبان ، مع الضربة الأولى ، انطلق الأربعة الباقون يحاولون الفرار ، فتوقّف الكائن ، وأطلق نحوهم صواعقه ، فسقطوا مصعوقين فاقدى الوعى ..

وفى الخارج ، صاح أحد الشبان الثلاثة :

- ماذا يحدث فى الداخل ؟!.. إنهم يواجهون خطرًا ما .

أجابه زميله ، وهو يشهر مدفعه الليزرى فى توتر شديد :

- السؤال هو : هل يمكنهم مواجهته ، أم .. ؟

لم يكد يتمّ سؤاله ، حتى برز ذلك الكائن فجأة ، من خلف المركبة الفضائية ، فصرخ الشاب :

- إنه هنا .

وعلى الرغم من حرصه الشديد ، على كل حياة بشرية ، أطلق الكائن صاروخًا من قفازه ، نحو ذلك الشاب ، فاقتلعه من مكانه اقتلاعًا ، مع دوى الانفجار العنيف ..

وقبل أن يتلاشى الدوى ، كان يتقدّم نحو الشابين الآخرين ، اللذين أمطراه بكل ما يحوى خزانا مدفعيهما من طاقة ، عبر حزم الليزر القوية ..

ثم لم تختلف نهايتهما كثيرًا ، عن نهاية زملائهما فى الكهف ..

وعندما سقط الشابان مصعوقين ، حملهما الكائن فى هدوء ، وألقى بهما داخل المركبة ، ثم حملها فى قوة ، واتجه بها نحو الجبل ، وتوقّف أمام جزء بعينه منه ، وتألّقت عيناه ببريق ذى إيقاع منتظم ، فانزاح ذلك الجزء من الجبل ، كاشفًا قاعة أكثر ضخامة ، تراصت

وعندما سقط الشابان مصعوقين ، حملهما الكائن فى هدوء ، وألقى بهما داخل المركبة ..

داخلها آلاف الأسطوانات الزجاجية ، التى تحوى تلك الكائنات الفضائية ، وتوقفت فى ركنها السيارة الفضائية ، إلى جوار الحوّامة ..

وفى هدوء ، أضاف الكائن إليهما المركبة الفضائية الكبيرة ، ثم انتزع منها جسدى الشابين ، وراح يؤدى عمله المعتاد فى هدوء ..

ومرة أخرى ، ارتفعت تأوّهات الألم فى المكان ..

وكالمعتاد ، كانت الآلام شديدة ..

شديدة إلى حد مخيف ..

* * *

« ثلاثة أيام ، ونصل إلى المريخ .. »

نطق ( نور ) العبارة مبتسمًا ، داخل حجرة الترويح فى مكوك الفضاء السياحى ، فابتسم ( أكرم ) فى سخرية ، قائلاً :

ـ عظيم .. اقترب موعد الإفراج .

هتفت ( سلوى ) فى دهشة :

ـ إفراج ؟!.. تتحدث كما لو أننا فى سجن .

أجاب بسرعة :

ـ ألسنا كذلك بالفعل ؟!.. انظرى حولك وستجدين أننا محاطون بالفضاء الرحب من كل جانب ، ولا يمكننا



تجاوز حدود المكوك ، بأى حال من الأحوال .. ما هو السجن إذن ، لو لم يكن كذلك .

قالت ( مشيرة ) معترضة :

ـ هل رأيت فى حياتك كلها سجنا مزوّدا بكل وسائل الترفيه هذه ؟.. قاعة عرض سينمائى ، وملعب للتنس ، ومكتبة ، وعدد هائل من أفلام الفيديو والأفلام التسجيلية ، وحتى حديقة أطفال !

مال نحوها ، قائلا :

ـ هل سمعت يا عزيزتى قصة العصفور ، الذى انتحر لأنهم وضعوه فى قفص من الذهب ؟!

هتفت ( مشيرة ) :

ـ الفارق ضخم ، بيننا وبين عصفورك هذا .

ضحك ( نور ) ، قائلاً :

ـ لا تحاولى يا ( مشيرة ) .. ( أكرم ) ساخط دائمًا ، مهما حصل على امتيازات .

هتف ( أكرم ) :

ـ امتيازات ؟!.. من منا يحصل على الامتيازات أيها المتحذلق ؟!.. من يدخل لمقابلة القائد الأعلى ، ويترك الآخر مع طاقم الحراسة فى الخارج ؟!.. من يعرف كل الأسرار ، ويخفيها عن زميله ؟

قال ( نور ) فى هدوء :

- إنها امتيازات مهنة .

قال ( أكرم ) فى حدة :

- هكذا ؟!.. ولماذا لا نحصل على امتيازات المهنة هذه ، عندما نواجه الخطر معًا ؟.. لماذا لا تتلقى الضربات كلها وحدك ؟!

هتفت ( سلوى ) :

- مهلا .. هل ستتجادلان مرة أخرى هنا ؟

أشارت ( مشيرة ) براحتها ، وزفرت قائلة :

- إنهما لا يتوقفان عن هذا كلما التقيا .

ثم التفتت إلى ( أكرم ) ، مستطردة :

- إننى أتساءل والحال هكذا : كيف تنتصران فى عملكما معًا ، وأنتما مختلفان إلى هذا الحد ؟

عقد ( أكرم ) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول :

- إننى ألقى السؤال ذاته على نفسى ، فى كل مرة .

وابتسم ( نور ) ، قائلا :

- الجواب بسيط يا صديقى .. إننا ..

قاطعه فجأة صوت ربان المكوك ، الذى دلف إلى المكان ، قائلا :

- رسالة عاجلة من القيادة الأرضية ، إلى الضابط ( نور ) .



التفت إليه الجميع فى دهشة ، ووضعت ( سلوى ) يدها على صدرها ، قائلة فى قلق شديد ، وبلسان مرتجف :

- رسالة عاجلة ؟!

وقالت ( مشيرة ) فى حدة :

- ستكون سخافة منهم ، لو طالبونا بالعودة إلى الأرض .

أما ( أكرم ) ، فقد انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يغمغم :

- أرأيتم ما كنت أعنيه ؟.. كل الأمور الهامة والعاجلة يظفر بها السيِّد ( نور ) وحده !

( نور ) وحده لم ينبس ببنت شفة ..

لقد أدرك على الفور أن الأمر عاجل وخطير للغاية ، وإلا ما اتصلت به القيادة فى مكوك فضاء ، ينطلق بالفعل إلى المريخ ، لتسند إليه مهمة جديدة ..

وبدون كلمة واحدة ، نهض ( نور ) يتبع الربّان ، إلى حجرة الاتصالات الخاصة ، وتابعه الجميع بأبصارهم ، حتى اختفى خارج القاعة ، فتمتمت ( سلوى ) ، وصوتها يحمل اضطرابها وتوترها الشديدين :

- أتعتقدان أنهما مهمة جديدة ؟

أومأت ( مشيرة ) برأسها إيجابا ، وقالت :

ـ الأمر يبدو كذلك ، ولكننى أتساءل : أية مهمة هذه ، التى لا تحتمل التأجيل إلى هذا الحد ؟!

مطّ ( أكرم ) شفتيه ، قائلا :

ـ لا داعى للقلق والتخمين .. ما هى إلا دقائق ويعود إلينا ( نور ) ، وعندئذ سنعرف كل شىء ..

وصمت لحظة ، قبل أن ينعقد حاجباه ، ويضيف فى حنق :

ـ هذا لو تفضّل ( نور ) بإخبارنا .

فى نفس اللحظة ، التى تبادلوا فيها هذا الحديث ، كان ( نور ) يستقبل صورة القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، على شاشة جهاز الاتصال فى المكوك ، ويسمع صوته ، وهو يقول :

ـ ( نور ) .. يؤسفنى أن أعكّر صفو إجازتك ، ولكن الأمر هام بحق .

سأله ( نور ) فى اهتمام :

ـ ماذا حدث بالضبط يا سيّدى ؟!

وطوال نصف ساعة كاملة ، راح القائد الأعلى يقصّ على ( نور ) كل ما حدث ، وينقل إليه كل الشرائط المسجّلة ، والأفلام التى تم تسجيلها للوقائع ، و ( نور )



يتابع كل هذا ذاهلا مبهوتا ، حتى انتهى القائد الأعلى من حديثه ، قائلا :

ـ ومنذ ساعة واحدة ، اعترض ذلك الكائن المخيف طريق شاب آخر ، كان يحاول إصلاح آلة المراقبة ، واختطفه حيًّا ، لتبلغ الخسائر عشرين شابًا بالتمام والكمال ، بحيث لم يتبق فى المستعمرة سوى عشرة من الشباب المدربين ، بالإضافة إلى ( رمزى ) و ( نشوى ) ، وخمسة من الأطباء الإداريين .

صمت ( نور ) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ من المؤكد أن هذا الكائن لن يتوقّف أبدًا عن اقتناص ضحاياه يا سيّدى ، فالفيلم القصير ، الذى سجّلته آلة التصوير للشبان السبعة ، قبل أن يفتك بهم ذلك الكائن ، يشير إلى أنه يحتاج إلى واحد منا ، لإعادة الطاقة إلى واحد من كائنات الفضاء الأخرى ، الذين قضوا آلاف السنين على ما يبدو ، فى حالة السبات الاصطناعى هذه ، حتى لم يعد من السهل إيقاظهم ، دون منحهم طاقة هائلة ، لا يمكن الحصول عليها إلا من خلايا وأنسجة حيوية حية ، ونظرًا للعدد الهائل من الكائنات الفضائية ، الذى سجّلته الصورة ، فهو يحتاج حتمًا إلى عدد هائل من البشر ، ولا ريب أن لديه وسيلة للحصول على هذا العدد .

سألها القائد الأعلى :

ـ وماذا عن المعدات التى تختفى أيضًا ؟

عقد ( نور ) حاجبيه ، قائلا :

ـ هذا الأمر يثير فى نفسى شكوكا خاصة يا سيدى ، فأنا أخشى أنه يحتاج إلى المعدات ؛ لصنع أو إصلاح سفينة فضاء خاصة ، تساعده على القدوم إلى الأرض ، والحصول على العدد الذى يكفيه من الأحياء ، لبث الطاقة فى أجساد الكائنات الفضائية .

بُهتَ القائد الأعلى لهذا التفسير ، وقال متوترًا :

ـ ولكن هذا يعنى يا ( نور ) أن وجود ذلك الكائن لم يعد يمثل خطرًا على المقيمين فى المستعمرة المريخية فحسب ، وإنما على الأحياء فى كوكب الأرض أيضًا .

قال ( نور ) فى حزم :

ـ هذا صحيح يا سيدى .. الخطر صار يتهدَّد كوكب الأرض ، ولم يعد من الممكن السكوت عليه .

ثم انعقد حاجباه ، مع استطرادته المتوترة :

ـ ويهدد ابنتى أيضًا ، وأنا عاجز عن الوصول إليها ، قبل ثلاثة أيام .

قال القائد الأعلى فى حسم :

ـ هذا ما ينبغى أن نتحدَّث بشأنه يا ( نور ) ، فالواقع



أنه هناك وسيلة ، تتيح لك الوصول إلى ابنتك ، والقيام بمهمتك فى المريخ ، فى غضون يوم واحد .

سأله ( نور ) فى لهفة :

ـ حقًا ؟!.. وكيف يمكننى هذا ؟

أجابه القائد الأعلى :

ـ مكوك الفضاء يحوى مركبة تجارب فضائية خاصة ، صغيرة الحجم ، خفيفة الوزن ، مجهَّزة لحمل راكبين فحسب مع أسلحتهما ، وتستخدم الوقود الأمينى المتطوِّر ، الذى يجعل سرعتها تفوق ضعفى سرعة المكوك ، مما يمنحها فرصة بلوغ المريخ خلال ثلاث وعشرين ساعة من الآن .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ ولقد أصدرت أوامرى لربَّان المكوك ، بتسليمك المركبة مع أسلحتها ، لتكون تحت أمرتك مع ( أكرم ) ، فى مهمتكما المريخية .

وصمت لحظة ، ثم قال :

ـ ابذلا قصارى جهدكما يا ( نور ) ، لإنقاذ من تبقَّى فى المستعمرة المريخية ، وإنقاذ الأرض من مصيرها المخيف .

نهض ( نور ) ، قائلاً فى حزم :

- سنبذل قصارى جهدينا يا سيدى .. هذا وعد .

وأنهى الاتصال ، وهو يطلق زفرة قوية ، مغمغما :

- المشكلة الآن هى : كيف أشرح الأمر لـ ( سلوى ) ، دون أن أثير مخاوفها ؟!.. كيف ؟!

* * *

« محطة فضائية ؟!.. ما الذى تعنيه يا ( نور ) ؟!.. »

نطقت ( سلوى ) العبارة فى دهشة ، وهى تحدق فى وجه ( نور ) ، الذى حافظ على هدوئه وجمود ملامحه ، وهو يقول :

- إنها محطة فضائية سرية ، فى منتصف المسافة ، بيننا وبين المريخ ، حدثت فيها جريمة قتل غامضة ، وسأذهب مع ( أكرم ) للتحقيق فيها ، ثم نلحق بكم على المريخ .

قالت ( مشيرة ) فى دهشة :

- لم أسمع قط عن وجود محطة فضائية ، فى الطريق إلى المريخ .

أجابها ( نور ) فى سرعة :

- بالطبع .. إنها محطة فضائية سرية ، كما أخبرتكم .

أما ( أكرم ) ، فقد نهض فى حماس ، وهو يقول :

- رائع .. لن أموت من فرط الملل على الأقل ، كما كنت أخشى .



ابتسمت ( مشيرة ) ، قائلة فى عصبية :

- هل تفضّل الموت فى محطة فضائية سرية ؟!

هزّ رأسه نفيا ، وهو يقول :

- بل لدى وسيلة أفضل للموت .

سألته :

- وما هى ؟!

اتسعت ابتسامته ، وهو يجيب :

- الشيخوخة .

لم يبتسم أحدهم لدعابته ، فانعقد حاجباه ، وهو يقول :

- أهي دعابة سخيفة إلى هذا الحد ؟!

لم تعلق ( سلوى ) على عبارته ، وإنما التفتت إلى ( نور ) ، قائلة :

- ( نور ) .. لماذا لا أصدّق قصة محطة الفضاء هذه ؟

ربّت على كتفها ، قائلاً :

- لأنك اعتدت الشك فى كل شىء يا عزيزتى .

ثم أدار عينيه إلى ( أكرم ) ، مستطردًا فى حزم ، حتى لا يمنحها فرصة إلقاء سؤال آخر :

- هيًا يا ( أكرم ) .. العمل لا ينتظر أحدًا .

رمقه ( أكرم ) بنظرة سريعة ، قبل أن يقول فى حماس مصطنع :

- هيّا يا ( نور ) .. إننى أتوق لبدء العمل بسرعة .

ترقرقت عينا ( سلوى ) بالدموع ، وهى تتابعهما ببصرها ، وسألتها ( مشيرة ) :

- هل تصدقين أمر المحطة الفضائية السرية هذه ؟

هزّت ( سلوى ) رأسها نفيًا ، وتركت دموعها تنساب على وجنتيها فى صمت ، وقلبها يشعر بأن الأمر جد خطير ..

خطير جدًا ..

أما ( نور ) و ( أكرم ) ، فقد ارتديا زيهما الفضائى ، وراجعا أسلحة المركبة الفضائية التجريبية ، واستعدّا للإقلاع بها ، و ( أكرم ) يقول :

- ( نور ) .. هل تعلم ؟!.. أنا أيضًا لا أصدّق قصة المحطة الفضائية هذه .

أجابه ( نور ) فى حزم :

- وأنت على حق فى عدم التصديق ، فالقصة لا أساس لها من الصحة .

سأله ( أكرم ) فى دهشة :

- إلى أين تنطلق إذن ؟

أجابه ( نور ) ، وهو يضغط أزرار الإقلاع :

- إلى المريخ .

هتف ( أكرم ) ، وقد تضاعفت دهشته :

- إلى المريخ ؟!.. وماذا سنفعل هناك ؟



قال ( نور ) :

- سنواجه خطرًا من نوع جديد .

وضغط زر جهاز عرض خاص ، مستطردًا :

- لقد نقلت كل الصور والتسجيلات ، لتطالعها بنفسك ، وتعرف نوع الخطر الذى تواجهه المستعمرة المريخية ، والذى ننطلق لمواجهته بنفسينا .

وعندما بدأ العرض ، جذب ( نور ) ذراع الانطلاق ، واندفعت المركبة الصغيرة عبر ممر الإقلاع ، قبل أن تنطلق فى الفضاء ، و ( أكرم ) يهتف :

- ولكنِ هذا رهيب يا ( نور ) .. رهيب بحق .

لم يعلق ( نور ) ، وهو يضبط أجهزة التوجيه ، لتنطلق المركبة نحو المريخ مباشرة ، وعقله يتساءل :

- هل ستتمكن المستعمرة المريخية من الصمود ليوم آخر ؟!

كان قلبه يشعر بالقلق ، وعقله يدرس الخطر عشرات المرات ، وهو يتساءل عما يمكن أن يفعله مع ( أكرم ) لمواجهة ذلك الكائن المخيف ..

ولكن المؤكد أن دخوله مع ( أكرم ) إلى المعركة ، بكل خبرتهما وقوتهما ، سيصنع فارقًا ما ..

فارقًا كبيرًا ..

وحاسمًا .

* * *

# ٦ - حرب الإبادة ..

تصاعدت مشاعر الخوف والتوتر ، إلى درجة لم يسبق لها مثيل ، فى المستعمرة المريخية ، مع هبوط الظلام ، فى ذلك الليل المريخى البارد ، وبدا من الواضح أن كلمة الأمن لم يعد لها وجود فى العقول والقلوب والأذهان ، وأن الخوف صار هو الشعور الوحيد الذى يملأ النفوس ، ويجرى فى العروق مجرى الدم ..

لقد ارتدى الجميع زيهم الفضائى ، فيما عدا الخوذة ، استعدادًا لأى طارئ ، وحمل الشباب العشرة المتبقون أسلحتهم فى تحفز وتأهُب ، فى حين جلس المراقب أمام شاشاته متوترًا ، يتوقَّع ظهور ذلك الكائن فى أية لحظة ..

أما (رمزى) ، فراح يدرس الأمر مرات ومرات ، مدركًا ، بحكم خبرته كطبيب نفسى ، أن الخوف كفيل بإلغاء المنطق السليم من العقول ، وبث شىء من العنف فى النفوس ، إزاء كل محاولة لتخفيف حدة الموقف ، أو مناقشته على نحو يخالف الرأى العام ..



وفى قلق عنيف ، سألته زوجته (نشوى) :

- (رمزى) .. ترى ماذا سيحدث ، لو فاجأتنى آلام الوضع ، عندما يهاجمنا ذلك الكائن ؟

ربَّتت على يدها فى رفق ، قائلًا :

- لا تشغلى نفسك بالأمر يا عزيزتى .. الله (سبحانه وتعالى) كفيل بوضع الأمور فى نصابها ، عندما يحين الوقت المناسب .

أحاطت وسطه بذراعيها ، وألصقت صدرها بظهره ، وهى تريح رأسها على كتفه ، هامسة فى أسى :

- لماذا يحدث لنا هذا دائمًا يا (رمزى) .. لماذا ؟!

تنهَّد ، وربَّت على كفها ، مغمغمًا :

- لا أحد يفرَّ من قدره يا (نشوى) .

ترقرقت عيناها بالدموع ، وهى تقول :

- وهل قدرى أن أواجه الخطر دومًا ، وبلا انقطاع ؟

لم يجد ما يقوله لها هذه المرة ، فاستدار إليها فى رفق ، واحتواها بين ذراعيه ، ودموعها تتساقط على صدره ووجهه ، وهمس :

- يا إلهى !.. كم أحبك .

ابتسمت فى أسى ، وهى تقول :

- هذا هو عزائى الوحيد فى الدنيا .

وأزاحت خوفها جانبا لحظة ، لتقول :

ـ هل تعلم ؟!.. حلمت أننا أنجبنا طفلا وليس طفلة .

ابتسم قائلا :

ـ سيسعدنى ما تنجبينه ، ما دام يحمل اسمى .

سألته فى اهتمام :

ـ ولكنك لم تناقش هذا الأمر معى أبدا .. هل تفضل إنجاب ذكر أم أنثى ؟!

داعب أنفها بسبابته ، هامسًا :

ـ أفضل إنجاب من يشبهك ، سواء أكان ذكرًا أم أنثى .

قالت فى اهتمام :

ـ كل الرجال يفضلون الذكور .

ضحك قائلاً :

ـ هذه عادة همجية قديمة ، لست أعتقد أنها مازالت موجودة بالقدر نفسه .

قالت بسرعة :

ـ هل تقول هذا ، لأن الفحوص أشارت إلى أننا سننجب طفلة بإذن الله .

لوّح بسبابته فى وجهها ، قائلا :

ـ مطلقا .. أنا لا أقول إلا ما أومن به فقط .



ابتسمت ، قائلة :

ـ ولهذا أحببتك .

لم تكد تنطقها ، حتى ارتفع أزيز جهاز الاتصال ، فاختطف ( رمزى ) بوقه فى سرعة ، قائلاً :

ـ هنا القائد .. من المتحدّث ؟

أتاه صوت المراقب ، وهو يقول فى توتر واضح :

ـ أرجو منك الحضور إلى حجرة المراقبة أيها القائد .. هناك أمر لابد أن تراه بنفسك .

أجابه ( رمزى ) فى حزم :

ـ سأحضر على الفور .

استعادت ( نشوى ) كل توترها وخوفها ، وهو ينهى المحادثة ، وينهض فى سرعة لارتداء زيه الفضائى ، وسألته بصوت مرتجف :

ـ هل عاد ؟!

هزّ رأسه ، قائلاً فى جدية :

ـ لست أدرى بعد .

رأته يحمل خوذته ، ويتجه إلى الخارج ، فسألته :

ـ أمن الضرورى أن ترتدى زيك الفضائى ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ إننا نخشى أن يحطّم جزءًا من قبة الحماية ، فينخفض

الضغط داخل المكان ،ونلقى حتفنا جميعًا ، قبل أن نجد الوقت لارتداء الزى الواقى .

سألته مضطربة :

- وماذا عنى ؟!؟

التفت إليها لحظة فى صمت ، قبل أن يجيب فى حزم :

- هذا القطاع مصمم بحيث ينعزل تمامًا عن الخارج ، فى حال انخفاض الضغط بغتة ، وبه آلات ومعدات ومؤن ، تكفى للبقاء لأسبوعين كاملين ، حتى تصل نجدة من الأرض .

ترقرقت عيناها بالدموع ، وهى تقول بصوت مختنق :

- المهم أن تكون معى ، إذا ما حدث هذا .

تطلّع إليها لحظات فى صمت ، وأطلّت من عينيه نظرة مشفقة حنون ، وهو يهمس :

- حافظى على نفسك وعلى ابننا جيدًا .

قالها ، وغادر المكان فى سرعة ، قبل أن يغلبه تأثره ، فتركت هى لدموعها العنان ، وهى تهمس لنفسها :

- عد إلىّ يا ( أكرم ) .. عد إلىّ سالمًا بالله عليك .

وانخرطت فى بكاء حار ..

* * *



أشار المراقب إلى إحدى الشاشات أمامه ، وهو يقول فى اضطراب شديد :

- انظر أيها القائد .. إنه يقف ساكنًا هناك منذ نصف ساعة كاملة ، دون أن يحرّك ساكنا ، وكأنما تحوّل إلى تمثال من الصلب .

بدت الحيرة على وجه ( رمزى ) ، وهو يتطلّع إلى المشهد ، وسأل :

- ولكن لماذا ؟

هزّ المراقب رأسه نفيًا ، وقال :

- لست أدرى .. لو أنه يسعى لأمر ما ، فلماذا يقف هكذا ؟!.. ثم إنه يعلم بالتأكيد أن آلات التصوير ستنقل إلينا صورته فى وضوح ، فما هدفه من استفزازنا على هذا النحو ؟

راجع ( رمزى ) خبراته النفسية ، وهو يجيب فى بطء :

- ربما هو نوع من إثبات القوة ، فهو يقول لنا : إننا نعجز عن تدميره ، حتى وهو يقف أمامنا مباشرة .

تنهّد المراقب ، قائلاً :

- يا للوغد !

ثم استطرد متوترًا :

- المشكلة أن القبة الواقية ، المحيطة بالمستعمرة ،

تتكوّن فى جزء منها من جدران شفافة ، والزاوية التى يقف فيها ، تجعله مرئيًا فى وضوح ، من ثكنات الشبان .

انعقد حاجبا ( رمزى ) فى شدة ، مع هذه المعلومة الجديدة ..

إذن فذلك الكائن لم يتخذ وقفته هذه عشوائيًا ..

لقد اختار مكانه بمنتهى الدقة ، ليواجه ثكنات الشبّان ..

ثم لم يحرك ساكنًا ..

فما الذى يعنيه هذا ؟!..

ما الذى يسعى إليه بالضبط ؟!..

ما هو ؟!

فى نفس اللحظة ، التى دارت فيها هذه التساؤلات فى ذهنه ، كان الشبّان العشرة ، فى ثكناتهم ، يراقبون ذلك الكائن فى سخط ، وأحدهم يقول ثائرًا :

ـ الوغد يتحدانا بصورة سافرة مستفزة .

سأله زميله :

ـ هل تعتقد أنه يرانا مثلما نراه ؟!

أجابه محتدًا :

ـ بالتأكيد .. إنه يتعمد هذا .

انعقد حاجبا ( رمزى ) فى شدة ، مع هذه المعلومة الجديدة ..

سأله آخر :

- ولماذا ؟!

صمت بضع لحظات ، ثم هزّ رأسه نفيًا فى قوة ، وقال :

- لست أدرى .. إنه يستفزنا فحسب .

ران عليهم جميعًا الصمت لبضع دقائق ، وهم يواصلون مراقبة ذلك الكائن ، الذى لم يهتزّ لحظة واحدة ، وعيناه تبرقان بإيقاع بطىء منتظم ، ثم قال أحدهم فى حدة وعصبية :

- هل سنتركه يعبث بنا هكذا ؟

تبادلوا نظرة متوترة ، قبل أن يقول آخر :

- وماذا بيدنا لنفعله ؟!

أجابه فى انفعال :

- نواجهه .. نهاجمه .. نوقفه عند حده .

قال ثالث فى توتر شديد :

- وكيف السبيل إلى هذا ؟!.. ألم تر ما أصاب زملاءنا ، عندما حاولوا التصدّى له ؟!

أشاح بوجهه عن النافذة ، مجيبًا فى عصبية :

- لقد باغتهم حينذاك ، ومن الواضح أن الأسلحة الليزرية لا تؤثر فيه قط .. إنه يحتاج إلى سلاح آخر لمواجهته .



سأله أحد زملائه :

- مثل ماذا ؟!

أجابه فى حزم :

- الصواريخ .

ساد الصمت تمامًا عقب كلمته ، وراح الجميع يتبادلون نظرات متوترة ، قبل أن يقول شاب متحمس :

- أنا أوافق تمامًا على مهاجمة ذلك الوغد ، فكما يقولون : وقوع البلاء أفضل من انتظاره .. ما رأيكم يا رفاق ؟

ران عليهم الصمت لحظات أخرى ، ثم قال أحدهم فى قلق :

- وماذا عن الأوامر ، التى تقتضى عدم الدخول فى صراع مباشر ؟

قال آخر فى حماس :

- دعك منها .. لن نسمح لأى شىء بالحيلولة بيننا وبين هذا الوغد .. لابد أن نلقنه درسًا قاسيًا .. هيّا يا رفاق .. سنحطّم كل القواعد ، ونتصدّى للوغد بكل قوتنا .. هيّا .

انتقل الحماس إليهم جميعًا ، وهبّوا هبّة رجل واحد لملاقاة خصمهم ، دون أن يبلغوا القيادة ، حتى أن

( رمزى ) فوجئ بمرآهم على شاشة المراقبة ، وهم يحملون مدافع الصواريخ ، ويخرجون للقتال ، فصاح منزعجًا :

- ربّاه !.. ماذا تفعلون ؟!.. عودوا أدراجكم بالله عليكم .

أجابه قائدهم فى حماس :

- لا تقلق بشأننا أيها القائد .. لقد اتخذنا قرارنا بمواجهة هذا الوغد ، ولن نتراجع عنه قط ، مهما كانت الأسباب !

صاح ( رمزى ) :

- هذا ما يريده بالتحديد .. لقد استفزكم طويلاً ، ليدفعكم إلى مواجهته ، وعندما تخرجون لقتاله ، فإنكم تنفذون خطته بالضبط .

أجابه الشاب فى حزم :

- معذرة أيها القائد .. لقد أقسمنا ألا نتراجع قط ، ويؤسفنى أننا سنقطع الاتصال بيننا وبينك ، منذ هذه اللحظة .

صرخ ( رمزى ) :

- لا .. لا تجعلوه يخدعكم .. تراجعوا بالله عليكم .

ولكن صرخته لم تبلغ مسامعهم هذه المرة ..



لقد انقطع الاتصال بينه وبينهم ..

انقطع بلا رجعة ..

وفى يأس ومرارة ، هتف ( رمزى ) :

- أيها الحمقى !.. لقد استدرجكم إلى فخه .

ولكنه لم يعد يملك شيئا من أمرهم ..

كل ما تبقى له هو أن يراقب الشاشة ، ليعرف ما سيحدث ..

وأن يضع أمله كله فى الله ( سبحانه وتعالى ) .. فقط ..

* * *

« هل تعتقد أننا سنصل فى الوقت المناسب يا ( نور ) ؟!.. »

ألقى ( أكرم ) السؤال ، وهو يجلس على مقعده فى استرخاء ، ويسبل جفنيه ، داخل مركبة الفضاء الصغيرة ، فتنهّد ( نور ) فى عمق ، مغمغمًا :

- أتعشّم هذا .

سأله ( أكرم ) فى اهتمام ، دون أن يفتح عينيه :

- هل تعتقد أن ذلك الكائن سيتمادى ، فى قتاله معهم ؟

أجاب ( نور ) فى خفوت :

- لست أدرى ما تقصده بتماديه هذا ، ولكننى أعتقد أنه لن يتوقف ، حتى يسلبهم آخر شخص حى فى المستعمرة .

غمغم ( أكرم ) فى غضب :

- ليلقى به داخل أسطوانة لعينة ، مع كائن فضائى مجهول الهوية .

قال ( نور ) :

- من المحتمل جدًا أن تكون هذه الكائنات ، التى كانت تحيا على المريخ منذ زمن طويل ، وأنها وضعت نفسها فى هذه الأسطوانات ، حتى تحافظ على وجودها ، بحيث تعود إلى وعيها ، إذا ما تحسنت الظروف .

سأله ( أكرم ) :

- من أين جاء هذا الكائن إذن ؟!

قال ( نور ) فى اهتمام :

- ربما كان شخصًا آليًا ، أو كائنًا من كوكب آخر ، جعلوا منه حارسًا أو خادمًا لهم ، تقتصر مهمته على القيام بالخطوات اللازمة لإيقاظهم ، إذا ما حان الوقت المناسب .

مط ( أكرم ) شفتيه ، وهز رأسه ، قائلا :

- أو لم يحن الوقت المناسب ، سوى هذه المرة ؟



صمت ( نور ) لحظة ، قبل أن يجيب :

- فى اعتقادى أن دخول الشبان إلى الكهف ، أشعل جهاز إنذار خاص ، أيقظ ذلك الكائن ، وأعلنه أن اللحظة المناسبة قد حانت .

وانعقد حاجباه ، مستطردًا :

- وأن كائنات حية قد نجحت فى الوصول إلى المريخ ، وأصبحت هناك فرصة لاستنزاف الطاقة الحيوية ، وإيقاظ الآخرين .

فتح ( أكرم ) عينيه ، وهو يقول فى دهشة :

- أتعنى أنهم جهزوا كل هذا ، انتظارًا لوصول مخلوقات حية إلى كوكبهم يومًا ما ؟

أجاب ( نور ) فى سرعة :

- إنه مجرد استنتاج .

هتف ( أكرم ) :

- مجرد استنتاج ؟!.. إنه يبدو لى منطقيًا إلى حد كبير يا ( نور ) .. بل إلى حد مخيف .

ثم سأل فى اهتمام مشوب بالقلق :

- ولكن ذلك الوغد لن يقف ساكنًا ، حتى ولو توقف سكان المستعمرة عن العبث بكهفه .. أراهنك على أنه سيسعى إليهم بنفسه .

أومأ ( نور ) برأسه موافقا ، وقال :

- أعلم هذا ، ولكننى أعلم أيضا أنه يريدهم أحياء ، ولست أدرى كيف يمكنه الحصول عليهم كذلك ، لو أنه هاجمهم بنفسه ؟!

غمغم ( أكرم ) :

- سيجد وسيلة لهذا .

ثم عاد يغلق عينيه ، مضيفًا :

- كل ما أتعشمه ، هو أن نصل فى الوقت المناسب ، قبل أن يظفر بالجميع .

سرت ارتجافة باردة كالثلج فى جسد ( نور ) ، عندما نطق ( أكرم ) عبارته هذه ..

فكلمة الجميع تشمل ، فيمن تشمل ، ابنته ( نشوى ) ، وصديق عمره ( رمزى ) ..

وهذا يعنى أن عبارة ( أكرم ) صحيحة تمامًا ..

فلابد من الوصول إلى المريخ ..

وفى الوقت المناسب ..

* * *

امتلأت أجساد الشبان العشرة بالحماس ، وهم يواجهون خصمهم ، الذى ظل على ثباته وجموده ، وكأنه حتى لم يلمحهم ..



وكان من الطبيعى أن يستفزهم هذا أكثر ، فقال أحدهم فى غضب :

- ماذا تنتظرون يا رفاق .. أطلقوا النار .. سنطلق صواريخنا على دفعتين .

صوب خمسة منهم مدافعهم الصاروخية إلى الكائن ، وهتف قائدهم :

- الآن .

ومع هتافه ، انطلقت الصواريخ الخمسة ..

ودوى الانفجار ..

انفجار هائل عنيف ، أطاح بالكائن تمامًا ، وحوله إلى فتات أمام أعينهم ..

ولثوان ، ران عليهم صمت رهيب ، وكأنهم لا يصدقون ما حدث ..

لا يستوعبون أنهم قضوا على خصمهم بهذه السرعة والبساطة .

حتى ( رمزى ) ، الذى يراقب الموقف من حجرة المراقبة ، غمغم فى حيرة :

- عجبًا !.. كيف حدث هذا ؟

وانعقد حاجباه ، وهو يدرس الأمر فى سرعة ، قبل أن تتسع عيناه فى ارتياع ، ويصرخ :

- يا إلهى !.. لقد خدعهم .. احترسوا بالله عليكم .. احترسوا .

ولكن انقطاع الاتصال بينه وبينهم ، لم يسمح لهم بسماع تحذيره ، وهم يتجهون إلى الموضع ، الذى كان يحتله خصمهم ، وانحنى أحدهم يفحص الحطام ، قبل أن يرتدّ فى عنف ، هاتفا :

- إنه مجرّد غلاف فارغ زائف .

ولم تكن عبارته قد انتهت بعد ، عندما انقضّ الكائن الحقيقى ..

وكانت انقضاضته أعنف من أية انقضاضة سابقة ..

لقد برز فجأة من خلف التل ، وهو يطلق صاعقتين من قفازه ، نحو أبعد اثنين من الشبان .

ثم انقضّ بغتة على اثنين آخرين ، فضرب أحدهما بكفه ، وأطاح به أربعة أمتار إلى الخلف ، فى حين حمل الثانى ، وألقاه بقوة رهيبة نحو ثلاثة من زملائه ..

وصرخ أحد الشبان الثلاثة الباقين ، وهو يصوّب مدفعه الصاروخى نحو الكائن :

- أيها الوغد .

وأطلق الصاروخ ..

وبسرعة خرافية ، استدار الكائن نحو الصاروخ ، ثم



وثب فى قوة ، وتجاوز بوثبته أربعة أمتار كاملة ، ليتفادى الصاروخ ، الذى انفجر فى زاوية التلّ ، قبل لحظة واحدة من الركلة العنيفة ، التى حطم بها خوذة الشاب ، الذى أطلق صاروخه نحوه ..

وانتفضت أجساد الشبان التسعة ، مع صيحة الألم الهائلة ، التى انطلقت من بين شفتى الشاب المسكين ، عندما تحطّمت خوذته ..

حتى ( رمزى ) ، صرخ فى لوعة :

- يا للبائس !

فمع تحطُّم الخوذة ، انخفض الضغط بغتة ، بالنسبة للشاب ، فجحظت عيناه فى شدة ، وخرجتا ـ فعلاً لا مجازًا ـ من محجريهما ، فى حين احتقن وجهه على نحو مخيف ، وراح يصرخ ، ويصرخ ، ويصرخ ..

ثم فجأة ، تفجّرت الدماء من عينيه وأذنيه وأنفه وفمه ..

وانفجر وجهه كله ..

وأشاح ( رمزى ) بوجهه عن شاشة المراقبة ، وهو يهتف :

- كان ينبغى أن يستمعوا إلىّ .. كان ينبغى أن يفعلوا .

وفى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان الكائن ينتزع المدفع الصاروخى من يد شاب آخر ، ويهوى به على معدته ، ليدفعه أمامه فى عنف ، حتى ارتطم بالجزء الزجاجى من القبة ، ثم سقط على وجهه ..

واندفع شاب آخر يهاجم الكائن من الخلف ، وهو يصرخ :

- ماذا فعلت بنا أيها الحقير ؟.. ماذا فعلت بنا ؟!

وقفز يتعلق بعنقه ، ولكنه لم يكد يفعل ، حتى أطلق صرخة قوية هائلة ، وارتد عنه فى عنف ، وكأنما تلقى أعنف صدمة فى حياته ، وسقط على الأرض يتقلب فى قوة ، وصرخاته لا تنقطع ..

وفى ذهول ، سأل المراقب (رمزى) :

- ماذا أصابه ؟!

أجابه (رمزى) فى توتر :

- يبدو أن جسد ذلك الكائن مشحون بشحنة كهربية قوية .

قال المراقب :

- تقصد درعه .

هز (رمزى) رأسه ، مغمغمًا :



- لست أدرى .. لم أعد أدرى .

قالها ، وعيناه معلقتان بالشاشة ، التى نقلت مشهد الشبان الذين حاولوا أن يلملموا أنفسهم ، فكشفوا أن خمسة منهم فقدوا وعيهم بالفعل ، من عنف الهجوم ، والسادس لقى مصرعه ، ولم يتبق منهم سوى أربعة ، مازالوا قادرين على القتال ..

من الناحية النظرية على الأقل ..

وفى هدوء مستفز ، استدار الكائن يواجههم ، فقال قائدهم فى عصبية :

- لماذا لم يطلق صواعقه اللعينة ؟!

أجابه زميله متوترًا :

- ربما نفدت كلها .

هتف القائد فى غضب :

- سيكون هذا من سوء حظه .

ثم رفع مدفعه الصاروخى ، وصوبه إليه ، مستطردًا :

- هيا أيها الوغد .. ذق صواريخنا .

ولكن الكائن شدّ قامته ، واعتدل فى وقفته على نحو عجيب ، وكأنه يتحداهم ، ثم قذف وجهه إلى الأمام فجأة ، وتضاعف تألق عينيه ثلاث مرات على الأقل ، قبل أن تنطلق منهما حزمة هائلة من أشعة حمراء قانية ..

ولم يعد هناك وجود لقائد الشبان ..

لا أحد يدرى ماذا أصابه بالضبط ..

إنه حتى لم يطلق صرخة واحدة ..

لقد هوت عليه حزمة الأشعة الضخمة ، واندلع من موضعه لسان طويل من اللهب ، لم يكد يتلاشى ، حتى كان المقاتل الشاب قد اختفى ..

أو ذاب ..

لا أحد يدرى ..

المهم أنه لم يعد هناك فحسب ..

ولثانية أو ثانيتين ، ساد ذهول رهيب ، ثم صرخ أحد الشبان فى ثورة :

ـ أيها الوغد الحقير ..

وأطلق صاروخه نحو الكائن ..

وفى رعب هائل ، صرخ ( رمزى ) ، الذى يراقب المشهد على شاشته :

ـ لا .. لا تفعل ..

وتحقق ما كان يخشاه بالضبط ..

لقد قفز الكائن بسرعة ، متفاديًا الصاروخ ، الذى واصل انطلاقه ، لينقضّ مباشرة على الجزء الزجاجى من القبة ..

وانفجر ..

وحدثت الكارثة .

* * *



## ٧ ـ الكارثة ..

انبعث صوت معدنى هادئ ، داخل المركبة الفضائية الصغيرة ، ليقول بلهجة روتينية جافة :

ـ منتصف المسافة .. اثنتى عشرة ساعة ، ونصل إلى المريخ .

تسللت العبارة فى نعومة إلى عقل ( أكرم ) ، وانتزعته من سباته ، ففتح عينيه فى بطء ، مغمغمًا :

ـ اثنتى عشرة ساعة .. كم يمضى الوقت فى بطء .

ثم التفت إلى ( نور ) ، وقال فى دهشة :

ـ ألم تنم بعد ؟

هزّ ( نور ) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ لم أستطع هذا .. عقلى يرفض النوم تمامًا .

سأله فى اهتمام :

ـ هل تبحث عن تفسير للموقف ؟

ابتسم ( نور ) فى إرهاق ، قائلًا :

ـ الأمر لا يحتاج إلى جهد لتفسيره هذه المرة ، وإنما يحتاج إلى دهر كامل ، للعثور على وسيلة لمواجهته .

وافقه ( أكرم ) ، قائلًا :

- هذا صحيح .. إننى أتساءل منذ بدأت رحلتنا : كيف سيمكننا التصدّى لمخلوق كهذا ، دون أن نحمل سوى مدفعى ليزر ، وأربع قنابل محدودة المدى .

أشار ( نور ) بسبّابته ، وهو يقول :

- وصاروخين .

ابتسم ( أكرم ) فى سخرية ، وقال :

- السؤال هو : هل يكفى كل هذا ؟

هزّ ( نور ) رأسه نفيًا ، قبل أن يقول :

- خطأ يا ( أكرم ) .. السؤال الحقيقى هو : كيف يمكننا استغلال هذه الأسلحة ، لتحقيق النصر ؟

قال ( أكرم ) ، وهو يسترخى فى مقعده :

- أخبرنى أنت .

تنهّد ( نور ) ، قائلاً :

- لا يمكننى أن أخبرك ، إلا عندما أجد الجواب .

غلفهما الصمت بغلافه لحظات ، وكل منهما يُعمل فكره فى الموقف ، ثم قال ( أكرم ) فى اهتمام شديد :

- قل لى يا ( نور ) : هل تعتقد أن هذا الكائن منفرد ، أم أنه هناك آخرون ؟

أجابه ( نور ) ، وهو غارق فى أفكاره :

- لا يمكننى الجزم بعد ، ولكننى أميل إلى الاعتقاد



بأنه كائن منفرد ، فلو كان هناك آخرون ، لما اكتفوا بهجوم فردى فى كل الأحوال .. إنه كائن جم القوة ، واسع الحيلة ، شديد الذكاء ، ومن الواضح أنه الخادم الأمين لتلك الكائنات ، والمسئول الأوّل عن عملية إيقاظها .

ضحك ( أكرم ) ، قائلا :

- الخادم المسئول عن إيقاظ سيّده .. يالها من فكرة !.. إنها تذكرنى بروايات ( دراكيولا )(*) ، وذلك الخادم الشاحب الممصوص ، الذى يقود العربة ذات الجوادين ، التى تحمل تابوت سيّده ، ويجوب بها البرارى والجبال ، ثم يروى التابوت بالدم ، عندما يجد ضحية مناسبة ، فينهض سيّده من غفوته ، ليمتص دماء الأبرياء ، ويتحوّل إلى ذئب أو خفاش ، ليزرع الرعب فى قلوب الجميع ..

انعقد حاجبا ( نور ) ، وهو يقول :

---

( * ) دراكيولا : شخصية خيالية ، ابتكرها الروائى البريطانى ( برام ستوكر ) ، متأثرًا بشخصية كونت رومانى ، اشتهر بعنفه وساديته ، و ( دراكيولا ) مصاص دماء ، يجول فى الليالى المظلمة ، ليقتنص ضحاياه ، ويتغذّى بدمائهم ، فيتحوّلون بدورهم إلى مصاصى دماء .

– هل تعلم ؟!.. على الرغم من أن ( دراكيولا ) شخصية خيالية ، إلا أن الصورة التى ذكرتها صحيحة تمامًا ، وتنطبق بشدة على الموقف ، فالخادم استيقظ ، وراح يبحث عن ضحايا كافية ، لإيقاظ أسياده .

قال ( أكرم ) ساخرًا :

– ومن الواضح أنه خادم وفى مخلص .

أجابه ( نور ) :

– هذا صحيح .. لذا فهو لن يتوقَّف ، قبل أن يتمّ مهمته على أكمل وجه .

قال ( أكرم ) فى حزم :

– أو نسحقه سحقًا .

ثم انعقد حاجباه فى شدة بضع لحظات ، قبل أن يضيف فى حماس :

– وهناك حل ثالث .

سأله ( نور ) فى اهتمام :

– وما هو ؟!

أجابه بسرعة :

– ألا يجد أسيادًا يخدمهم .

اتسعت عينا ( نور ) ، وعقله يحوّل هذا الاقتراح إلى صورة كبيرة ..



صورة للأسطوانات الزجاجية الكبيرة ، وهى تنفجر ، أو تشتعل فيها النيران ..

وبسبب طبيعته المناهضة للعنف والدمار ، سرت فى جسده قشعريرة ، لم تستطع منع عقله من الاعتراف بأن هذا حل معقول ، على الرغم من عنفه وقسوته ..

معقول تمامًا ..

* * *

لم يكد الصاروخ ينفجر ، فى ذلك الجزء الزجاجى من القبة الواقية ، حتى انخفض الضغط داخل المستعمرة على نحو مباغت ، فانفجر الغلاف الزجاجى كله دفعة واحدة وانطلقت موجة عنيفة إلى الخارج ، أطاحت بالشبان الثلاثة ، الذين بقوا بوعيهم ، وبأجساد رفاقهم الفاقدى الوعى ، ودفعت ذلك الكائن عدة أمتار إلى الأمام ، قبل أن يوقفه ارتطامه بصخرة ضخمة ..

وفى داخل المستعمرة ، صرخت ( نشوى ) فى رعب :

– لا .. لا يمكن أن يكون هذا واقعًا .

ومن حولها ، انطلقت صفارات إنذار قوية ، وراحت ألواح من الصلب تهبط على النوافذ والمداخل ، لعزل المكان كله ، فى حين بدأ جهاز معادلة الضغط والهواء عمله فورًا ، ومنظمه الإليكترونى يردِّد :

ـ المنظم الاحتياطى بدأ عمله .. الأمان متوافر لمدة أسبوعين ، تم إرسال إنذار فورى إلى المركز الأرضى ؛ لإرسال نجدة عاجلة .

صرخت ( نشوى ) :

ـ وماذا عن ( رمزى ) ؟

ولم تكد تطلق صرختها ، حتى تفجرت الآلام فى بطنها ..

وتفجرت الدموع من عينيها ..

أما ( رمزى ) ، فلم يكد الانفجار يحدث ، حتى أسرع يرتدى خوذته ، صائحًا فى المراقب :

ـ نفذ خطة الطوارئ فورًا .

ارتدى المراقب خوذته بدوره ، ونقل الرصد إلى الداخل ، ورأى على شاشته طبيب المركز الطبى وممرضته ، وهما يرتديان خوذتيهما ، ويتشبثان بقوائم الطوارئ فى الجدار ، حتى لا تقتلعهما موجة الخلخلة المباغتة ، فى حين عجز مسئول التغذية عن الاقتداء بهما ، فطار جسده إلى الخارج ، وفقد خوذته ، وهو يطلق صرخة رهيبة ، لم يطلق مثلها مدير مخزن الأسلحة ، الذى قضى نحبه بأزمة قلبية ، فور حدوث الانفجار ، وانهيار القبة ..



وكان هذا يعنى أن الانفجار قد دمّر المستعمرة ، وأن الخسائر البشرية قد بلغت ذروتها ..

اثنان وثلاثون ضحية ، من مجموع سبعة وثلاثين شخصًا ، منذ ظهر ذلك الكائن ..

وفى ارتياع ، هتف ( رمزى ) :

ـ ( نشوى ) .. يا إلهى !.. لقد تركتها وحدها .

أجابه المراقب فى توتر :

ـ يمكننا الاتصال بها ، عبر الدائرة المغلقة ، ولكن انظر أوّلاً ما يفعله ذلك الكائن .

نقل ( رمزى ) بصره إلى الشاشة ، التى نقلت صورة الكائن المخيف ، وهو يجمع أجساد الشبان ، كما لو أنه مزارع قديم ، يحصد محصوله الطازج ، قبل أن تفسده مياه الأمطار ، ثم يحملها كلها على كتفيه القويتين ، ويسير فى بطء واثق ، حتى يختفى وسط ليل المريخ الرهيب ..

ولثوان ، لم ينبس ( رمزى ) أو المراقب ببنت شفة ..

ثم انفجر الأوّل باكيًا فى مرارة ، وهو يقول فى حسرة :

ـ ضاع الشباب .. ثلاثون من أفضل شبابنا انتهوا على سطح المريخ ، على بعد ملايين الكيلومترات من موطنهم .. يا للخسارة !.. يا للخسارة !

شاركه ( رمزى ) مشاعره وانفعاله بدمعة صامتة .. لم تفصح عن ذلك البركان الذى يلتهب فى أعماقه ..

إنه يشعر مثله بالمرارة والحسرة ..

بل وربما أكثر منه ؛ لأنه ، بحكم موقعه ، يدرك فداحة الكارثة وعمق المأساة ..

ولكنه ، وعلى الرغم من كل هذا ، وجد ذهنه يتركز كله على نقطة واحدة ..

على أكثر من يهمه أمره بين الأحياء ..

على زوجته ..

( نشوى ) ..

* * *

أطلق ( أكرم ) من أعماق صدره تنهيدة محدودة ، وهو يقول لـ ( نور ) فى ضجر واضح :

- ( نور ) .. إنها المرة الخامسة ، التى تطالع فيها هذه التسجيلات .. قل لى : هل تبدلت شخصيتك بغتة ، فصرت عاشقًا للعنف والدماء ، حتى أنك تهنأ بمشاهدتهما خمس مرات متتالية ؟!

هز ( نور ) رأسه نفيًا فى بطء ، وهو يجيب فى جدية :

- مطلقًا .. إننى أبغض العنف والتدمير ، وسأظل على

شاركه ( رمزى ) مشاعره وانفعاله بدمعة صامتة ، لم تفصح عن ذلك البركان الذى يلتهب فى أعماقه ..

بُغضى لهما ، حتى آخر لحظة من عمرى ، على الرغم من اضطرارى إلى اللجوء إليهما أحيانا ، عندما لا يصبح هناك من حل سواهما .

ابتسم ( أكرم ) ، وهو يقول :

ـ قولك هذا يثبت حدوث تغيير واضح فى شخصيتك .. لقد اعترفت بحتمية اللجوء إلى العنف ، فى بعض المواقف .

أجابه ( نور ) مرة أخرى فى جدية :

ـ أنا لم أنف هذا قط .

ثم التفت إليه ، مستطردًا :

ـ بل إننى أوافق على اقتراحك ، من الناحية النظرية على الأقل .

بدت الحيرة على وجه ( أكرم ) ، وهو يقول :

ـ أى اقتراح ؟

اعتدل مجيبًا :

ـ ذلك الخاص بتدمير وسيلة إيقاظ تلك الكائنات ، بحيث يفقد ذلك القاتل الغرض من وجوده ، فيتوقَّف عن تدمير من حوله .

ثم أشار إلى الشاشة ، مستطردًا :

ـ ولهذا أراجع التسجيلات أكثر من مرة ، بحثًا عن نقطة الضعف ، فى نظام الإيقاظ هذا .



هزَّ ( أكرم ) كتفيه فى دهشة ، قائلا :

ـ ولماذا تبذل كل هذا الجهد ؟.. دعنا نحدد أولا موضع الكهف ، ثم نطلق عليه الصاروخين ، فينتهى الأمر كله فى لحظات .

انعقد حاجبا ( نور ) فى غضب ، وهو يقول :

ـ ونكون قد قضينا على آلاف الأرواح .

هتف ( أكرم ) :

ـ آه .. يبدو أننى كنت مخطئًا .. إنك لم تتغيَّر البتَّة .. مازلت ( نور ) الرقيق المشاعر ، المرهف الحس ، الذى يرفض إيذاء بعوضة لطيفة ، تمتص دمه منذ ساعة كاملة .. أيةَ أرواح تلك التى تتحدَّث عنها يا رجل .. تلك الكائنات لم تلق بالاً لأرواح شبابنا ، التى انتزعتها بلا رحمة ، لتستعيد يقظتها ووجودها .

أشار ( نور ) بسبَّابته فى صرامة ، قائلاً :

ـ لا تخلط الأوراق يا ( أكرم ) .. تلك الكائنات رقدت فى سبات طويل لآلاف السنين ، وليست مسئولة الآن عما يفعله خادمها .

هتف ( أكرم ) مستنكرًا :

ـ حقًا ؟!.. لماذا ابتكروا الأسلاك والخراطيم الدقيقة ، التى تسلب الضحايا حيويتها وطاقتها ، وتنقلها كلها

إليهم ؟.. هل تعتقد أنهم كانوا ينتظرون سربا من الحمير مثلا ؟!

انعقد حاجبا ( نور ) فى شدة ، وهو يشعر بشىء من الحنق ، أمام منطق ( أكرم ) ، الذى بدا له سليمًا تمامًا ..

تلك المخلوقات ، بالفعل ، لم تعرف الرحمة ..

لقد ابتكرت كل هذه الأجهزة ، وخطّطت للعودة ، على حساب أول مخلوقات حية ، تصل إلى المريخ .

ولم تبال قط بأرواح الآخرين ..

لم تفعل منذ آلاف السنين ..

ولن تفعل الآن ..

وفى حزم ، أشار ( نور ) إلى الشاشة ، قائلاً :

- أنت على حق .. لقد أخطأت بشأنهم .

ارتفع حاجبا ( أكرم ) فى دهشة ، وشعر بمزيج من الانبهار والإعجاب بشخصية ( نور ) ، الذى لم يتردّد لحظة واحدة فى الاعتراف بخطإ فكرته ، عندما أدرك هذا ..

ولا أحد يقدم على عمل مماثل ، إلا لو كان يتمتّع بشجاعة نادرة ، وثقة لا محدودة بالنفس ..

وفى صوت متهدّج ، قال ( أكرم ) :



- ( نور ) .. دعنى أعترف بأنك أشجع من قابلت فى حياتى كلها ، وأنه من دواعى فخرى أن أعمل معك .

أومأ ( نور ) برأسه ، مغمغما :

- أشكرك .

ثم استطرد فى سرعة ، وهو يشير إلى نقطة ما على الشاشة الصغيرة :

- انظر .. هل ترى هذا الوميض الأحمر ؟

مال ( أكرم ) إلى الأمام ، ليتابع المشهد عن قرب ، قبل أن يقول :

- إنه مجرّد مصباح صغير .

هزّ ( نور ) رأسه نفيًا فى حزم ، وهو يقول :

- كلاّ .. لست أعتقد أنه كذلك .

ثم ضغط أزرار الكمبيوتر المتصل بالشاشة ، مستطردًا :

- وربما لو كبرنا هذا الجزء أكثر ، لاتضحت الصورة على نحو أكثر وضوحًا .

ارتسم مستطيل صغير ، حول النقطة التى ينبعث منها الوميض ، ثم تضخّم بسرعة ، ليملأ الشاشة كلها ، ويكبُر هذه النقطة ست مرات ..

وكما توقّع ( نور ) ، بدا المشهد واضحًا للغاية ..

كانت تلك البقعة المضيئة جزءًا من جهاز كبير ، تراصت فيه عدة شاشات من مادة شبيهة بالكوارتز ، تألقت فوقها رموز عجيبة ، يبدو وكأنها تحل محل الأرقام المعروفة فى عالمنا ..

وفى حزم ، أشار ( نور ) إلى تلك المنطقة ، قائلاً :

- أرأيت ؟.. من الواضح أن هذا هو مركز التحكم فى العملية كلها ، ولو نجحنا فى إصابته ، لن يمكن لتلك الكائنات أن تستيقظ قط ..

زفر ( أكرم ) ، قائلاً :

- مازلت أصرّ على أنه من الأيسر أن ننسف المكان كله .

ثم انتابته موجة حنق مباغتة ، وهو يستطرد :

- هل تدرى كمّ المخاطر ، التى يمكن أن نتعرّض لها ، حتى نبلغ مركز التحكم هذا ؟

التفت إليه ( نور ) فى حركة حادة ، ولوّح بسبّابته فى وجهه ، قائلاً :

- اسمع يا ( أكرم ) ، موافقتى على فكرتك لا تعنى أننى أميل إلى أسلوبك الفظ العنيف ، فى التعامل مع الأمور .. سننفذ فكرتك ، ولكن بأسلوبى أنا .

صاح فيه ( أكرم ) غاضبًا :



- ولماذا أسلوبك أنت ؟

هتف ( نور ) :

- لأننى القائد هنا .

استشاط ( أكرم ) غضبًا ، وهو يقول :

- أرأيت ؟!.. مرة أخرى سنعود إلى الحديث عن الامتيازات ، و ...

استوقفه ( نور ) فى سرعة :

- مهلاً ..

بتر ( أكرم ) عبارته ، وتطلّع إليه فى حيرة ، فزفر فى قوة ، قائلاً :

- إننى أعتذر .. لم يكن ينبغى أبدًا أن نتجادل ونتشاجر بهذا الأسلوب .. يبدو أن التفكير والإرهاق المستمرين ، داخل مكان صغير مغلق كهذا ، أثار أعصابنا بشدة .

ارتجفت شفتا ( أكرم ) لحظة ، وكأنه يحاول السيطرة على أعصابه ، قبل أن يتمتم :

- لا بأس .. أنا أيضًا أعتذر .

ثم أشار إلى الشاشة ، وحاول أن يبتسم ، مستطردًا :

- وسأبذل قصارى جهدى معك ، لنصل إلى مركز التحكم هذا ، وننسفه نسفًا .

وتراجع فى مقعده ، مضيفا :

ـ ولكننى أتعشم أن يكفى هذا لإيقاف ذلك الوغد القبيح ، وألا يؤدى إلى تفجير المزيد من غضبه وجنونه ، فيتحول إلى وحش كاسر ، لا تكفى قنبلة نووية للسيطرة عليه ..

وانعقد حاجبا ( نور ) فى شدة ..

فمرة أخرى ، كان ( أكرم ) على حق ..

على حق تمامًا ..

* * *

انتهى الكائن المدرّع من وضع آخر ضحاياه داخل واحدة من الأسطوانات الشفّافة الكبيرة ، ثم اعتدل ، وأدار رأسه فى بطء إلى مركز التحكم ..

كانت هناك إشارة صفراء ، تضىء وتنطفئ على نحو منتظم ، ثم لم تلبث أن توقّفت ، وأضيئت بدلاً منها خمسة مصابيح صفراء صغيرة ، على قمة الأسطوانات الخمس الأولى فى القاعة الهائلة .

وفى خطوات هادئة ، اتجه الكائن إلى حيث الأسطوانات الخمس ، ووقف يراقبها فى صمت ..

وفى داخل تلك الأسطوانات ، كان الشبان الخمسة قد فقدوا كل طاقتهم وحيويتهم ..



وحياتهم أيضًا ..

لقد تحولوا إلى هياكل عظمية ، تكسوها طبقة رقيقة من جلد متغضّن بنى اللون ، ويتوسّط كل جمجمة زوج من أعين باهتة ، فقدت بريق الحياة ..

وكان المشهد بشعًا بحق ..

ولكن هذا لم يفتّ فى عضد ذلك الكائن ، الذى وقف يراقب الأسطوانات ، التى انفتح غطاؤها فى بطء ، وتصاعدت منها أبخرة خفيفة ..

ثم فتح الكائنات الخمس أعينهم الواسعة الكبيرة ، ونهضوا فى بطء برءوسهم الضخمة ، كما لو كانوا جزءًا من أحد أفلام الرعب المثيرة ..

وفى بطء ، خرج الخمسة من أسطواناتهم ، وألقوا نظرة لامبالية على تلك الأجساد ، التى وهبتهم الحيوية والنشاط ، وأعادتهم إلى يقظتهم ، قبل أن تدور أبصارهم إلى الكائن المخيف ..

وكان من الواضح أن ذلك ، الذى خرج من الأسطوانة الأولى ، هو قائد المجموعة ، وأكثر الجميع أهمية وقوة ، فقد اتجهوا جميعهم إليه ، وأشار هو إلى ذلك الكائن الرهيب ، فانحنى أمامه ، ثم استدار ، واتجه نحو أحد جدران القاعة ، كما لو أنه تلقى رسالة

عقلية ، تحمل عددا محدودا من الأوامر ..

وفى هدوء ، تبعه الكائن القائد ، وتوقف معه أمام الجدار ، الذى انفتح جزء منه فى بطء ، ليكشف سلما كبيرا ، يهبط إلى أسفل ، فهبط الكائنان فى درجاته ، حتى بلغا قاعة أخرى أكثر ضخامة ، وأشار الكائن المدرع إلى المعدات التى حصل عليها ، فارتسمت ابتسامة باهتة على وجه الزعيم ، وأومأ برأسه علامة الرضا ، ثم أشار إلى جزء آخر من الجدار ، فهبط ليغوص فى أرضية القاعة ، ليكشف خلفه مفاجأة مذهلة ..

سفينة فضاء هائلة الحجم ، تستقر فوق قاعدة من مادة أشبه بالصلب ..

وأطلت من عينى الزعيم نظرة ارتياح ..

لقد بقيت السفينة الفضائية على حالها تقريبًا ، وكل ما تلف منها يمكن إصلاحه ، بأجزاء من تلك المعدات ، التى استولى عليها المدرع ..

وبعدها ، يتمّ الانتقال فى بساطة إلى الخطوة الحاسمة ..

البحث عن ذلك الكوكب ، الذى أتت منه المخلوقات ، التى منحتهم ـ مرغمة ـ كل طاقتها وحيويتها ..



واحتلاله ..

ومن مخلوقاته ، ينطلق سيل الطاقة ، لتنهض كل المخلوقات الأخرى ، وتستعيد قوتها وسيادتها ، التى جعلتها يومًا ، منذ ملايين السنين ، تسيطر على أضخم مساحة عرفها تاريخ العوالم كلها ..

على ألف مجموعة شمسية ..

وبإشارة من يده ، برز الأربعة الآخرون ، وانحنوا أمامه ، ثم اتجهوا إلى السفينة الفضائية الضخمة ..

وبدأت عملية الإصلاح ..

والاستعداد للغزو ..

وبدء أضخم مذبحة ، وأكبر عدد من الضحايا عرفه التاريخ ..

الأرض كلها .

* * *

# ٨ - الأحياء ..

ضغط ( رمزى ) زر جهاز الاتصال ، وهو يقول فى قلق :

- ( نشوى ) .. هل تسمعيننى ؟.. هل تسمعيننى يا ( نشوى ) ؟.

أتاه صوتها ، وهى تهتف فى لهفة :

- ( رمزى ) .. حمدًا لله أنك بخير .. حمدًا لله .

لم يستطع منع خفقات قلبه ، التى أعلنت ارتياحه ، مع صوته المتهدّج ، وهو يقول :

- أنا بخير يا حبيبتى .. حمدًا لله على سلامتك .. هل عملت أجهزة الطوارئ كما ينبغى ؟

أجابته فى انفعال ، ودموعها تجرى على وجهها أنهارًا :

- نعم .. نعم .. ولكننى سجينة هنا وحدى ، وأشعر بآلام الوضع تهاجمنى .

هتف فى هلع :

- آلام الوضع ؟!

نطق الكلمات ، وهو يسترجع حديثهما ، ومخاوفها



من حدوث هذا ، ثم استطرد فى سرعة :

- لا تقلقى يا ( نشوى ) .. من حسن الحظ أن الطبيب وممرضته نجيا من الكارثة .. سأحضرهما إليك على الفور .

سألته ملهوفة :

- وهل يمكنكم الدخول ؟

أجاب محاولاً تهدئتها :

- بالطبع .. عندما تبدأ نظم الطوارئ فى العمل ، يتحوّل مدخل المبنى تلقائيًا إلى حجرة معادلة ضغط .. اطمئنى يا حبيبتى .. سأبذل قصارى جهدى ، لنصل إليك على وجه السرعة .

قالت متوترة :

- سأنتظركم .

امتدت سبابته لتنهى الاتصال ، ولكنها هتفت :

- ( رمزى ) .

سألها بسرعة :

- ماذا تريدين يا حبيبتى ؟

سالت دموعها بغزارة أكبر ، وهى تقول :

- عد إلىّ بسرعة ، ولا تعرّض نفسك للخطر .

غمغم :

- اطمئننى يا (نشوى) .. اطمئننى يا حبيبتى .
وأنهى الاتصال ، وهو يلتفت إلى المراقب ، قائلا :
- لا تغادر موقعك ، حتى أعود إليك .
أجابه المراقب ، وعيناه لا تفارقان الشاشات :
- اطمئن .
غادر (رمزى) مبنى المراقبة فى حذر ، وبدا له أثر الكارثة واضحا ، فى ساحة المستعمرة ، التى ازدحمت بالشظايا والحطام ، وانكشفت تمامًا لسماء المريخ الحمراء ، بعد شروق الشمس ، فتنهّد فى أسى ، مغمغمًا :
- يا للخسارة !
لم يستطع أن يطرد من ذهنه أبدًا صورة هذه الساحة ، عندما كانت ملعبًا ومتنزهًا للشبان الثلاثين ، الذين انتقاهم من خيرة شباب (مصر) ، وتولّى مسئولية تدريبهم لما يقرب من عام كامل ..
ودون أن يدرى ، انحدرت من عينيه دمعة ساخنة ..
ولكنه نفض الحزن عن نفسه فى سرعة ، وهو يغمغم :
- اطرح كل هذا جانبًا يا (رمزى) .. إنك مازلت قائد المستعمرة ، والمسئول عن الأحياء فيها .



ولكن العبارة نفسها فجّرت المزيد والمزيد من مرارته وحزنه ..
أى أحياء ؟!..
لم يعد باقيًا على قيد الحياة سوى خمسة أفراد ..
كل الشباب سقطوا ..
ويا للخسارة !..
ومرة أخرى ، حاول طرح انفعالاته جانبا ، وهو يقطع الساحة ، متجهًا إلى المركز الطبى الصغير ..
وعبر جهاز الاتصال الصغير فى خوذته ، قال :
- هل تسمعنى أيها الطبيب ؟.. أنا القائد .
أتاه صوت الطبيب ، هاتفًا :
- القائد (رمزى) .. حمدًا لله .. إذن فأنت على قيد الحياة !.. لقد تصورّت وممرضتى أننا الوحيدان ، اللذان نجيا من الكارثة .
أجابه (رمزى) ، وهو يتجه نحو المركز الطبى :
- لقد نجوت والمراقب ، و (نشوى) ، وأنا أحتاج إليكما من أجلها ، فيبدو أنها على وشك الوضع .
هتف الطبيب :
- فى هذه الظروف ؟!
ثم استدرك بسرعة :

ـ آه .. معذرة .. لم أكن أقصد هذا .. هذه الأمور تختار موعدها بنفسها ، ولا أحد يمكنه التدخل فيها .. نحن رهن إشارتك أيها القائد .

قال ( رمزى ) ، وهو يدلف إلى الممر ، الذى يقود إلى المركز الطبى :

ـ أنا فى طريقى إليكما ، وسأصحبكما إلى ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدق فى الساحة ، بمزيج من الدهشة والتوتر والخوف والهلع ..

فهناك ، وبالقرب من مبنى المراقبة ، كان يسير ذلك الكائن ..

الكائن المدرّع الرهيب ..

* * *

اتسعت عينا المراقب فى ذعر هائل ، عندما رأى المدرّع على شاشته ، وهو يدلف إلى مبنى المراقبة ، وارتجفت كل عضلة فى جسده ، وهو يردّد :

ـ لا .. لا .. مستحيل !

واستعاد عقله فى لحظة واحدة تلك المشاهد ، التى نقلتها آلة التصوير ، من داخل القاعة الواسعة ، داخل الكهف الجبلى ..

الأجساد الممصوصة ..



الأطراف المعروقة ..

العيون الزائغة ..

الوجوه المعذّبة ..

أنّات الألم والعذاب ..

وانتفض جسده فى عنف ، وهو يختطف سلاحه ، مكررًا :

ـ لا .. لا .

وراح قلبه يخفق فى عنف ، وهو يتابع وقع الأقدام الثقيلة البطيئة ، التى تصعد فى درجات السلم ، وتقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

وفجأة ، ظهر ذلك الكائن ، عند مدخل قاعة المراقبة ..

وصرخ المراقب :

ـ لن تظفر بى أبدًا .

أطلق صرخته مع خيوط أشعة الليزر ، التى انهالت من مسدسه على صدر الكائن ورأسه ، وعنقه ، وأطرافه ..

ولكن هذا لم يوقفه ..

لقد ارتطمت خيوط الأشعة كلها بجسده ، ثم ارتدت

عنه فى عنف كالمعتاد ، وهو يواصل تقدمه الواثق البطىء نحو المراقب ، الذى انتزع أحد الأجهزة ، ورماه بكل قوته نحوه ، صارخًا :

ـ لن تظفر بى أيها الوغد .. لن تظفر بى أيها الحقير .

ارتطم الجهاز بالكائن ، الذى هوى عليه بقبضته ، فأحاله إلى فتات تناثر حوله ، دون أن يوقفه لحظة واحدة ..

ثم ظهر ( رمزى ) ..

ظهر بغتة خلف الكائن ، وهو يحمل مدفعًا صاروخيًا ، وصرخ فى المراقب :

ـ ابتعد .

التفت إليه الكائن فى سرعة ، و ...

وأطلق ( رمزى ) صاروخه ..

وداخل القاعة ، ارتطم الصاروخ بالمدرّع ، وانفجر بدوى هائل ، أطاح بـ ( رمزى ) عبر الباب ، الذى دخل منه منذ لحظات ، وألقاه فى عنف إلى السلم ، الذى تدحرج فوقه ، وسقط عند قاعدته ، ثم انزلق إلى ذلك التجويف أسفله ، وراح يلهث فى عنف ، وهو يقاوم غيبوبة طارئة ، راحت تلح على عقله فى إصرار ..



وفى اللحظة نفسها ، أطاح الانفجار بالمراقب عبر القاعة ، حتى ارتطم بالجدار ، وارتدّ عنه فى عنف ، وسقط أرضًا ، وسط حطام الأجهزة والمعدّات ..

أما الكائن ، فقد استقبل الانفجار فى صدره ، وتراجع جسده فى عنف ، حتى اصطدم بالحاجز الزجاجى ، فى نهاية القاعة ، فحطّمه فى قوة ، واندفع جسده خارجها ، إلا أنه تشبّث بحافة الحاجز بغتة ، ليمنع جسده من الاندفاع لمسافة بعيدة ، ثم قفز عائدًا إلى القاعة ، ووقف عند طرفها هادئًا ، وهو يستدير فى هدوء ، إلى حيث سقط المراقب ، الذى حاول النهوض فى صعوبة ، وهو يهتف :

ـ أقسم إنك لن تظفر بى أيها الكائن الحقير .

تحرك المدرّع نحوه فى حزم ، فاختطف الرجل مسدسه ، صارخًا :

ـ لن تظفر بى حيًا أبدًا .

وأدار فوهة مسدسه الليزرى إلى زيه الفضائى ..

وأطلق الأشعة ..

وفى هدوء ، وقف المدرّع يراقب عينى الرجل ، وهما تجحظان ، مع وجهه الذى انتفخ بشدة ، حتى تفجّرت منه الدماء فى عنف ، مع صرخة ألم هائلة ، انتهى بعدها كل شىء ..

ومن المؤكد أن المدرَّع شعر بالأسف لما حدث ؛ لأنه فقد حياة بشرية ، كان يمكن أن يعيد بها الوعى إلى أحد سادته ، إلا أنه لم يتوقَّف طويلا عند هذا الحدث ، وإنما راح يجمع من حوله كل الخرائط الملاحية الفضائية ، والكتب ، وأسطوانات الكمبيوتر المدمجة ، التى تتحدَّث عن كوكب الأرض ..

جمع كل هذا ، ثم غادر المبنى فى هدوء ، دون أن يلقى نظرة على ذلك التجويف أسفل السلم ..

من حسن حظ ( رمزى ) ..

* * *

« ثلاث ساعات ، ونصل إلى المريخ .. »

سمع ( نور ) العبارة ، وهو مغلق العينين ، يستسلم لقسط من النوم ، بعد الإجهاد الذهنى العنيف ، الذى تعرَّض له طوال الرحلة ..

مشكلته أن عقله لا يهدأ أبدًا ..

مادام يواجه لغزًا ما ، فهو لا يتوقَّف عن التفكير لحظة واحدة ..

حتى فى أثناء نومه ..

هذا لو استطاع أن ينام ..

كانت عيناه مجهدتين بشدة ، و ( أكرم ) إلى جواره ،

جمع كل هذا ، ثم غادر المبنى فى هدوء ، دون أن يلقى نظرة على ذلك التجويف أسفل السلم ..

غارق فى سبات عميق ، ولكن عقله كان يسترجع كل شاردة وواردة ، فى الموقف كله ..

وفى النهاية ، تركزت أفكاره كلها عند نقاط محدودة ..

شبان المستعمرة ..

و ( رمزى ) ..

وابنته ( نشوى ) ..

واستقرت الصورة الأخيرة فى ذهنه ..

وراحت تكبر ..

وتكبر ..

وتكبر ..

حتى احتلت كيانه كله ..

ترى ماذا تفعل ابنته الآن ؟!..

ما موقفها من هذا الخطر الداهم ؟..

ما تأثيره على حملها وجنينها ؟!..

بل ، والأكثر خطورة ، ما تأثيره على عقلها وأعصابها ؟..

لا ريب أن المسكينة قد استرجعت كل الأهوال ، التى واجهتها منذ طفولتها ..

حتى هذه الطفولة ، لم يمكنها الاستمتاع بها ، كما



يفعل أى طفل ..

لقد خسرتها بضربة واحدة ..

بل بقطرة واحدة(*) ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد جازفت بحياتها يوما لتنقذ كوكب الأرض كله(**) ..

وكان مصيرها أن تسجن طويلا فى منطقة العدم(***) ، قبل أن ينجح فى استعادتها ..

ولكن .. هل ينجح فى هذا مرة أخرى ؟!..

هل ينجح فى إنقاذها من الموت فى المستعمرة المريخية ؟!..

هل يوفقه الله ( سبحانه وتعالى ) إلى تجنيبها ويلات العذاب ، داخل أسطوانة زجاجية ، فى قاعة الكائنات الفضائية الضخمة ؟!..

تداعت الأفكار فى رأسه بسرعة ، على الرغم من أنه يغرق فى سبات عميق ..

عميق للغاية ..

* * *

---

( * ) راجع قصة ( سادة الأعماق ) .. المغامرة رقم ( ٦٢ ) .

( ** ) راجع قصة ( النصر ) .. المغامرة رقم ( ٨٠ ) .

(***) راجع قصة ( أرض العدم ) .. المغامرة رقم ( ٨٣ ) .

« استيقظ يا ( رمزى ) .. استيقظ .. »

انتفض جسد ( رمزى ) ، وهو يستعيد وعيه دفعة واحدة ، وحدّق فى وجه زوجته ( نشوى ) ، ووجهى الطبيب والممرِّضة ، قبل أن يقول فى دهشة :

- أين أنا ؟!

تفجرت الدموع من عينى ( نشوى ) ، وهى تحتضنه فى لهفة وسعادة ، هاتفة :

- حمدًا لله على سلامتك .. حمدًا لله .

أما الطبيب ، فقال فى انفعال :

- لقد رأينا كل ما حدث .. رأينا ذلك الوحش يدخل إلى مركز المراقبة ، ثم رأيناك تهرع إلى مخزن الأسلحة ، وتعود حاملا مدفعًا صاروخيًا ، وتنقضَ على المركز بدورك .

صمت لحظة ؛ ليزدرد لعابه ، فأكملت الممرضة فى سرعة :

- وأصدقك القول .. لقد تصوَّرنا أنها آخر مرة نراك فيها ، فطبقًا لما حدث ، لم ينج أى شخص ، فى مواجهة مباشرة مع ذلك الكائن .

أشار إليه الطبيب ، قائلًا :

- وأنت السابقة الأولى لهذا .



سأله ( رمزى ) فى دهشة :

- ولكن كيف تركنى حرًا ؟!.. ولماذا ؟

أجابه الطبيب فى حماس :

- يبدو أن الانفجار ، الذى حدث داخل المركز ، قد أطاح بك إلى ما تحت السلم ، حيث عثرنا عليك ، وأن ذلك الوغد لم ينتبه إلى وجودك هناك .

صمت ( رمزى ) لحظات مفكرًا ، قبل أن يسأل فى حيرة :

- عجبًا !.. هل انصرف خاوى الوفاض هذه المرة ؟!

أجابت الممرضة فى سرعة :

- كلا .. لقد كان يحمل عدة أشياء صغيرة .

غمغم فى دهشة :

- أشياء صغيرة ؟!

لم يستطع وحده استنتاج طبيعة تلك الأشياء الصغيرة ، فاتخذ قرارًا فوريًا ، بضرورة فحص مركز المراقبة ، لمعرفة ما استولى عليه المدرَّع ، ولكن ذهنه استعاد فجأة أمرًا ما ، فسأل زوجته فى لهفة :

- وماذا عن آلام الوضع ؟

ابتسمت فى حنان ، قائلة :

- كانت زائفة .. مجرَّد إنذار كاذب .

وافقها الطبيب بإيماءة من رأسه ، قائلا :

ـ هذا يحدث كثيرًا ، بالنسبة للاتى تلدن للمرة الأولى ، فهن يعجزن عن معرفة آلام الوضع الحقيقية ، ويخلطن بينها ، وبين التقلصات البسيطة ، فى الأسبوع الأخير للحمل .

تنهد فى ارتياح ، مغمغمًا :

ـ حمدًا لله .

ثم نهض ، مضيفًا فى حزم :

ـ لا تغادروا هذا المبنى ، فهو وحده يحظى الآن بضغط وهواء يناسبان طبيعة البشر ، تمامًا مثل مبنى التدريب والإعاشة ، الخاص بالشبان .

ارتجف صوت الطبيب وتهدج ، وهو يتمتم :

ـ فلندع الله (سبحانه وتعالى) أن يتغمدهم برحمته .

انحدرت دموع (نشوى) والممرضة ، وهما تستعيدان الذكرى ، فى حين سيطر (رمزى) على مشاعره ، بكل ما يملك من قوة ، وهو يقول :

ـ لن أتأخر طويلاً .. سأعود بسرعة .

أمسكت (نشوى) بذراعه فى قوة ، وهتفت :

ـ لا تجازف .. أرجوك .

ربت على يدها فى رفق ، مغمغمًا :



ـ اطمئنى .

واتجه فى حسم إلى المخرج ، و...

وفجأة ، انبعث صوت واضح من جهاز الاتصال ، يقول :

ـ من المركبة الفضائية التجريبية إلى المستعمرة المريخية .. هنا الضابط (نور) ، من المخابرات العلمية المصرية .. لقد وصلنا إلى المريخ ، ونطلب الإذن بالهبوط .

قفزت (نشوى) من مكانها ، هاتفة :

ـ أبى .. لقد وصل .. أخيرًا .. أخيرًا يا (رمزى) .

وقال الطبيب فى دهشة :

ـ الضابط (نور) ؟!.. أهو بطل التحرير ؟!.. عجبًا !.. كيف وصل إلينا بهذه السرعة ؟

التقط (رمزى) بوق جهاز الاتصال ، وهو يقول :

ـ عندما تلتقى به ، ستدرك أنه من الطبيعى أن يدهشك ما يفعله ، ويبهرك إلى أقصى حد .

ثم استطرد عبر بوق الاتصال :

ـ من المستعمرة المريخية إلى المركبة الفضائية .. أنا (رمزى) يا (نور) .. يمكنك الهبوط بالطبع .. لو وجدت مكانًا يصلح لهذا .

قال ( نور ) فى انفعال :

ـ ماذا أصاب المستعمرة يا ( رمزى ) ؟!.. كل شىء يبدو فى حالة سيئة للغاية !.. كيف تحطمت القبة ؟ وأين أنت الآن ؟.. وكيف حال ( نشوى ) ؟

أجابه ( رمزى ) فى أسى :

ـ ( نشوى ) ، وطبيب وممرضة المركز الطبي ، وأنا ، الأحياء الوحيدون هنا يا ( نور ) ، بعد أن تعرضنا لهجوم مخيف .. إننا نحتمى بمركز القيادة ، ولسنا ندرى متى يشن ذلك القاتل هجومه القادم .

صمتت أجهزة الاتصال لحظات ، قبل أن يقول ( نور ) فى حزم :

ـ لقد عثرنا على مكان صالح للهبوط يا ( رمزى ) .. سنلتقى بعد قليل بإذن الله ، وعندئذ سنتعاون معًا جميعًا ، لإيجاد وسيلة للخلاص من هذه الكارثة ..

واكتسى صوته بحزم واضح شديد ، وهو يردف :

ـ وهذا وعد .

وانتهى الاتصال ..

وبدأت المعركة الحقيقية ..

* * *



كانت لحظة اللقاء عاطفية مؤثرة بحق ، فقد بكت ( نشوى ) طويلا على كتف والدها ، وصافح الطبيب والممرضة ( أكرم ) و ( نور ) فى حرارة ، وقد بديا لهما أشبه بمعجزة هبطت من السماء ، حاملة الأمل فى الخلاص والنجاة ، أما ( رمزى ) ، فقد شد على أيدى صديقيه فى حرارة ، معبرًا عن فرحته وسعادته بلقائهما ..

ثم انتقل الجميع إلى العمل على الفور ..

وفى اهتمام ، راح ( نور ) و ( أكرم ) يستمعان إلى الجميع ، لتكوين صورة أكثر وضوحا عن الموقف ، وروى لهما ( رمزى ) ما حدث ، حتى انتهى بفحصه لمركز المراقبة ، قبل هبوطهما بلحظات ، ثم هز رأسه فى توتر ، قائلا :

ـ ولقد استولى ذلك المدرع على كل الخرائط الفضائية ، ودلائل الملاحة ، والكتب ، وأسطوانات الكمبيوتر المدمجة ، التى تتحدث عن الأرض ، وهذا يثير فى نفسى قلقا بلا حدود ، ومخاوف لا حصر لها .

أشار إليه ( نور ) ، قائلا :

ـ أنت على حق فى قلقك ومخاوفك يا ( رمزى ) ، فما فعله ذلك السفاح يؤكد وجهة النظر التى أتبناها .

سألته (نشوى) فى حذر :
- وما هى ؟!
صمت لحظة ، قبل أن يقول فى حزم :
- أن الخطر لن يقتصر على المريخ ، بل يمتد إلى الأرض أيضا .
شهقت هاتفة :
- يا إلهى !
وهنا قال (أكرم) :
- يبدو أن ذلك الوغد يخطط لتحويل أرضنا إلى مزرعة غذائية لسادته ، ولامتصاص طاقة وحيوية كل البشر ، لإيقاظ هؤلاء السادة الأوغاد ، المتعطشين للدماء .
تراجعت الممرضة فى رعب واضح ، فى حين قال الطبيب فى توتر :
- لا يمكننا أن نسمح له بهذا .. لا بد من إيقافه بأى ثمن .
ابتسم (نور) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :
- هذا ما نسعى إليه يا سيدى .
قال (رمزى) فى اهتمام :
- ما رأيكم لو صنعنا له فخا ، عندما يعاود هجومه ، وأن ...



قاطعه (أكرم) فى حزم :
- كلا .. لست أميل إطلاقا إلى فكرة الدفاع هذه .. إننى أفضل دائما نظرية الهجوم .
قال (رمزى) فى قلق :
- ولكنك رأيت بنفسك ما يحدث ، عندما نبادره بالهجوم .
ابتسم (أكرم) ، قائلا :
- هذا لأن الهجوم كان دائما مباشرا واضحا ، فى حين يلجأ هو باستمرار إلى الخداع .
وضاقت عيناه ، وهو يتابع فى لهجة أدهشتهم ، لما أطل منها من جذل :
- أما فى هذه المرة ، فسيكون عليه أن يواجه الخداع بالخداع ، ولنر عندئذ أينا أكثر براعة .
وعلى الرغم من أن هذا لم يكن يناسب الموقف والظروف أبدا ، فقد ألقى (أكرم) عبارته ، ثم انطلق يضحك فى قوة ..
وفى ثقة .

* * *

## ٩ - خدعة مزدوجة ..

استلقت ( سلوى ) على فراشها ، داخل مكوك الفضاء السياحى ، وعقلها شارد تمامًا ، وكأنه رحل مع ( نور ) ، عندما غادر المكوك ، وانطلق بالمركبة الفضائية التجريبية إلى الفضاء ..

كانت واثقة من أن الأمر لا يتعلّق بمحطة فضاء سرية أو علنية ..

ولكنها تخشى الإفصاح عما تشعر به بالفعل ..

وعما يدور فى عقلها ..

هذا لأنها لا تملك دليلاً على ما تشعر به ..

أو حتى دلالة منطقية تؤيّده ..

كل ما لديها مجرّد شعور ..

غريزة أنثوية تعربد فى أعماقها ..

حدس أم ، ارتبطت طويلا بابنتها ..

ومن أعمق أعماق صدرها ، انطلقت زفرة حارة ..

إنها واثقة من أن الأمر يتعلّق بالمستعمرة المريخية ..

أو بابنتهما ( نشوى ) ..



هذا وحده يدفع ( نور ) إلى محاولة خداعها ..

إنها عضو سابق بفريقه ، بالإضافة إلى كونها زوجته ، وتفهم جيدًا كيف يعمل ويفكّر ..

وهو واثق من أنها ستقدّر طبيعة عمله ، مهما كانت مخاطره ..

فلماذا يخفى الأمر عنها هذه المرة ، إلا لو كان الأمر يتعلّق بما لا يمكنها احتماله ؟!..

وبابنتها على وجه الخصوص ..

راح قلبها ينبض فى عنف ، وهى تتوصّل إلى هذا الاستنتاج ، وقفزت الدموع إلى عينيها ، وسبحت فى مقلتيها ، دون أن تجرؤ على الانحدار ، حتى سمعت طرقات على باب حجرتها ، فاعتدلت بسرعة ، قائلة :

- من الطارق ؟

أتاها صوت ( مشيرة ) ، وهى تقول :

- إنه أنا .. هل يمكننى الدخول ؟!

أجابتها ( سلوى ) ، وهى تمسح دموعها فى سرعة :

- بالطبع يا ( مشيرة ) .. تفضّلى .

ومع اللحظة الأولى ، التى دلفت فيها ( مشيرة ) إلى الحجرة ، أدركت ( سلوى ) أنها أيضًا قضت فترة طويلة من البكاء ، فاستقبلتها بتعاطف واضح ، وهى تسألها :

- ماذا بك ؟

تنهدت ( مشيرة ) ، قائلة :

- ( أكرم ) و ( نور ) خدعانا .

قالت ( سلوى ) فى حزن :

- أنا أيضًا أعتقد هذا .

هزت ( مشيرة ) رأسها فى قوة ، قائلة :

- إنه ليس اعتقادًا .. لقد تأكدت .

سرت ارتجافة عنيفة فى جسد ( سلوى ) ، وهى تقول بصوت شاحب :

- تأكدت ؟!.. كيف ؟!

انتقلت للجلوس إلى جوارها ، وهى تقول فى انفعال :

- لقد طلبت الاتصال بالمستعمرة المريخية ، باعتبارى رئيسة تحرير ( أنباء الفيديو ) ، كتمهيد للموضوع الذى أزمع إجراءه هناك ، وظلّ الربان يراوغنى ليوم كامل ، حتى واجهته فى حزم ، وذكّرته بقانون الصحافة ، الذى يحتم عليه التعاون معى ، بصفته الرسمية والشخصية ، فأعلن لى فى وضوح أن الاتصالات بالمستعمرة مقطوعة ، منذ مساء أمس .

ثم مالت نحوها ، مستطردة فى توتر :

- وهذا هو سبب انطلاق ( نور ) و ( أكرم ) .. لقد أرادا



توفير الوقت ، والوصول إلى المريخ بسرعة ، لمواجهة خطر ما ، يتهدّد المستعمرة هناك .

كان هذا يتفق تمامًا مع ما تشعر به ( سلوى ) ، وعلى الرغم من هذا ، تمتمت :

- لا يمكنك القفز إلى هذا الاستنتاج مباشرة .

هتفت ( مشيرة ) :

- الاستنتاج ؟!.. أى استنتاج هذا ؟!.. ما أخبرك به حقيقة واقعة .

وتلفتت حولها ، وكأنها تخشى أن يسمعها أحد ، قبل أن تضيف هامسة :

- لقد رشوت أحد أفراد الطاقم هنا ، فأخبرنى أن ( نور ) و ( أكرم ) استقلا مركبة تجريبية ، مبرمجة للانطلاق مباشرة إلى المريخ .

هوى قلب ( سلوى ) بين ضلوعها ، ولم تنطق حرفًا واحدًا لدقيقة كاملة ، وهى تحدق فى وجه ( مشيرة ) فى ارتياع ، قبل أن تهتف :

- يا إلهى !.. ( نشوى ) .. ابنتى !..

وانحدرت الدموع بسرعة على وجنتيها ، وهى تضيف :

- لا بد أن نفعل شيئًا يا ( مشيرة ) .. لابد .. لا يمكننا

الجلوس هنا ساكنتين ، وعائلتانا تواجهان الخطر هناك .. المكوك لن يصل إلى المريخ قبل يوم ونصف اليوم ، ولن أحتمل الانتظار كل هذه الفترة .

قالت (مشيرة) فى سرعة :

- ولا أنا .

ثم مالت نحوها ، لتهمس مستطردة :

- ولكننى وجدت وسيلة ، للوصول إلى المريخ خلال ثمان ساعات فحسب .

سألتها (سلوى) مبهورة :

- وكيف هذا ؟

ابتسمت (مشيرة) فى ظفر ، مجيبة :

- لقد علمت أيضًا أنه توجد مركبة تجارب فضائية ثانية .

هتفت (سلوى) فى لهفة :

- حقًا ؟!

ثم تراجعت مستدركة :

- ولكن كيف السبيل للوصول إليها ؟

أشارت (مشيرة) بسبابتها ، وهى تبتسم ظافرة ، وتقول :

- المال يصنع الأعاجيب .. سيمهّد لنا أحد أفراد



الطاقم السبيل إليها ، وسيعاوننا فى مهمة إقلاعها ، وبعدها ستتجه هى ببرنامجها المعد مسبقًا إلى المريخ مباشرة .

ترددت (سلوى) لحظات ، ثم لم تلبث أن حسمت أمرها ، وأجابت :

- ومتى يمكننا الانطلاق ؟

رفعت (مشيرة) رأسها فى اعتداد ، وهى تجيب :

- الآن .. للوقت ثمنه .

وألقت (سلوى) ترددها كله خلف ظهرها ..

وبعد نصف الساعة فحسب ، أشارت مؤشرات المكوك إلى انطلاق المركبة التجريبية الثانية ، فهتف الربان فى دهشة وتوتر :

- ما هذا ؟!.. كيف انطلقت تلك المركبة ؟

أجابه ضابطه الأول فى دهشة مماثلة :

- ربما كان خطأ فى التوصيلات ، أو ...

قبل أن يتمّ عبارته ، اندفع أحد أفراد الطاقم إلى حجرة القيادة ، وهو يقول فى انفعال :

- السيدتان (سلوى) و (مشيرة) اختفتا ، وأحد رجالنا يقول : إنه رآهما تتجهان إلى حيث المركبة الفضائية الثانية ، قبل انطلاقها المباغت .

اتسعت عينا الربّان فى ارتياع ، وهو يقول :

ـ يا إلهى !.. هل تعنى ..؟!

ازدرد الرجل لعابه فى صعوبة ، وهو يجيب متوترًا :

ـ نعم يا سيدى .. لقد استقللنا المركبة ، وانطلقنا بها إلى المريخ .

تراجع الربّان كالمصعوق ، وهو يقول :

ـ ربّاه !.. ولكن هذا خطأ .. خطأ فادح .

قال ضابطه الأوّل ، محاولا تخفيف الموقف :

ـ بالطبع يا سيدى ، فما فعلناه يعدّ جريمة انتهاك للقوانين الفضائية ، ومن حقنا أن ...

قاطعه القبطان منفعلا :

ـ ليست هذه هى المشكلة يا رجل .. المشكلة الحقيقية أن جهاز التوجيه فى المركبة الثانية لم يكتمل بعد .

واتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يحدّق فى شاشته ، مستطردًا :

ـ وهذا يعنى أنها لن تصل إلى المريخ أبدًا ..

قالها ، وهو يراقب المركبة ، التى تبتعد ..

وتبتعد ..

وتبتعد ..



ثم تختفى هناك ..

فى غياهب الفضاء ..

* * *

ارتفع عدد الكائنات الفضائية ، التى استعادت يقظتها إلى ثمانية ، انشغل سبعة منهم فى إصلاح سفينة الفضاء الضخمة ، فى حين راح الزعيم يراجع البرنامج ، الذى أعدّه للنجاة ، منذ عشرة آلاف عام ، من أعوام المريخ(*) ..

ومع البرنامج ، راح يستعرض ذلك التاريخ القديم ..

أيام مجد المريخ ..

منذ عشرة آلاف عام ، كان وقومه سادة المريخ ..

بل سادة المجموعة الشمسية كلها ..

صحيح أن أجسادهم هشة ضعيفة ، ولكن عقولهم المتطوّرة عوّضت هذا الضعف بتكنولوجيا مدهشة ، لم تعد لهم بعدها حاجة لمواجهة خصومهم مباشرة قط ..

كل أسلحتهم ووسائل قتالهم ، كانت تؤدّى نتائجها من بعيد ..

ثم إنهم سخّروا بعبقريتهم تلك الكائنات المدرّعة

---

(*) العام المريخى : ١.٨٨ من الأعوام الأرضية

القوية لخدمتهم ، وسيطروا عليها سيطرة تامة ، انتقلت عبر جيناتهم ، فصارت الطاعة العمياء لهم جزءًا من تكوين تلك الكائنات المدرّعة فائقة القوة ..

وفى ذلك الزمن ، كانت كل الأمور تسير على ما يرام ، وكان هو يعدّ خطة لغزو الأرض ، التى لم يتخلص سكانها من الهمجية بعد ..

ولكن الزمن لم يمهله لإتمامها ..

هذا لأن الكارثة وقعت ..

نيزك غريب سقط على الكوكب ، ثم انطلقت منه غازات سامة ، انتشرت بسرعة مدهشة فى الغلاف الجوى للمريخ ..

وهنا بدأ الانهيار ..

لم تكن أجسادهم الهشّة تحتمل طويلاً ، فراحت تنهار بسرعة ، وبات من الواضح أنه هناك حتمية لإيجاد وسيلة للنجاة ، قبل أن ينتهى الشعب كله ..

ومن هنا جاءت فكرة أسطوانات السبات الاصطناعى هذه ..

وبسرعة ، وتحت إشرافهم ، راح المدرّعون يبنون القاعات الهائلة ، وينقلون إليها سادتهم ، ليضمنوا لهم البقاء ..



أما هم ، فتساقطوا كالذباب ، حتى لم يتبقَ منهم عندما انتهى المشروع ، سوى كائن واحد ، أدخل نفسه بدوره فى حالة من السبات الاصطناعى الطويل ، حتى يزول ذلك الغلاف الغازى السام ، وتوجد وسيلة لإيقاظ السادة ..

وكان هذا الإيقاظ يحتاج إلى طاقة حيوية حية ..

طاقة لا يمكن توافرها ، إلا إذا وصلت مخلوقات عاقلة إلى المريخ ..

ولهذا تركوا مدخل الكهف واضحًا ؛ حتى تعثر عليه أية مخلوقات عاقلة ، تصل إلى الكوكب ، فتتوغل لاستكشافه ، وتصل إلى القاعة الواسعة ..

وعندئذ تنطلق إشارة البدء ..

وينهض المدرّع لخدمة السادة ..

وعندما غرق هو فى سبات عميق ، لم يكن يتصوّر أن قدوم مخلوقات عاقلة إلى الكوكب ، سيستغرق أكثر من مائة عام على الأكثر ..

ولكنه أخطأ حساباته تمامًا ..

ونام لعشرة آلاف عام ..

ولكن المهم أنه استيقظ فى النهاية ..

وأنه يستطيع إكمال خطة الغزو ..

غزو الأرض ..

كان يراجع الخطة فى اهتمام ، عندما اعتدل المدرَّع بحركة حادة مباغتة ، وأدار وجهه نحو المدخل السرى للقاعة السفلى ..

وأدرك الزعيم أن هناك زائرين ..

أو هجومًا بشريًا جديدًا ..

وفى بطء ، رفع يده الطويلة ، ذات الأصابع الرفيعة ، وأشار إلى المدرَّع ، الذى اتجه فى خطوات حازمة إلى المدخل السرى ، ولوَّح بيده أمام جزء منه ، فانفتح فى بطء ، وغادره هو إلى الجبال ، وتركه يغلق خلفه ، وهو يتابع حركة سيارة فضائية صغيرة ، تقترب من المكان فى سرعة ، وتتوقَّف على مسافة مائتى متر من موقعه ..

وتحفَّز المدرَّع ..

واستعدَّ للقتال ..

ولكن شيئًا لم يحدث ..

لقد ظلَّت السيارة الفضائية ساكنة ، صامتة ، وكأنه لا أثر فيها لأى نوع من أنواع الحياة ..

وهنا ، اتجه الكائن نحو السيارة ، بخطواته الثقيلة ، واستعدَّ بأسلحته ، واقترب منها أكثر وأكثر ، ثم فتح



بابها فى عنف ، وحدَّق فى ذلك الجسم الأسطوانى ، الذى تألَّقت قمته مع فتح الباب ، و ...

ودوى الانفجار ..

انفجار عنيف للغاية ، أطاح بالآلى خمسة أمتار إلى الخلف ، فارتطم بالصخور المريخية ، وسقط بينها ..

ثم قفز واقفًا على قدميه فى سرعة مدهشة ، واستدار يتطلَّع إلى أعلى ..

وأمام عينيه الحمراوين الواسعتين ، رأى جسمين يهبطان بمظلتين عاديتين ، من خلف الجبل ، فاستدار فى صرامة ، واتجه بأسرع خطوة ممكنة ، ليلقاهما خلف الجبل ..

ولم يكد يختفى هناك ، حتى برز ( نور ) و ( أكرم ) من خلف صخرة كبيرة ، وهتف الأخير فى جذل :

ـ أرأيت يا ( نور ) ؟!.. ليس من العسير خداع ذلك الوغد .. الخدعة المزدوجة أربكته بالفعل .

أجابه ( نور ) ، وهو يقفز من خلف الصخرة ، ويستلَّ مسدسه الليزرى :

ـ المهم ألا ينتبه إليها ، إلا بعد أن نتمَّ مهمتنا .

انطلقا يعدوان نحو الجبل ، وسأله ( أكرم ) :

ـ ألن نصعد إلى الكهف ؟

انطلقا يعدوان نحو الجبل ، وسأل ( أكرم ) :

ـ ألن نصعد إلى الكهف ؟..

أجابه بسرعة :

ـ بل سنعبر ذلك المدخل السرى السفلى .. هذا سيربكه أكثر .

وتوقَّف أمام المدخل السرى ، ليضغط زر جهاز صغير فى حزامه ، انطلقت بعده سلسلة من الذبذبات المختلفة ، فى توال بالغ السرعة ، حتى توافقت إحداها مع أسلوب فتح المدخل السرى ، فانفتح فى بطء ، وانطلق ( نور ) و ( أكرم ) يعبرانه ، والأخير يحمل مدفعًا صاروخيًا متعدِّد الطلقات ..

وكانت مفاجأة عنيفة للطرفين ..

الكائنات المنهمكة فى إصلاح سفينة الفضاء توقَّفت بغتة ، واستدارت مع زعيمها إلى ( نور ) و ( أكرم ) فى دهشة ، فى حين اتسعت عيون بطلينا ، وهتف ( نور ) :

ـ ربَّاه !.. لقد استيقظوا بالفعل .

أضاف ( أكرم ) فى توتر ، وهو يتطلَّع إلى سفينة الفضاء الهائلة :

ـ واستعدوا للغزو ..

هتف ( نور ) ، وهو يشير إلى السفينة :

ـ ومن سيسمح لهم .. أطلق صواريخك يا صديقى .

قبل أن تكتمل عبارته ، كان ( أكرم ) قد صوَّب مدفعه

الصاروخى إلى السفينة ، فتحرك الزعيم فى حركة عصبية ، وتراجع بسرعة ، إلى ما خلف إحدى الأسطوانات الكبيرة ، فى حين ارتبكت الكائنات الأخرى ..

ولم يبال ( أكرم ) بكل ما يحدث ..

وأطلق صاروخه الأول ..

ودوى الانفجار ، عند قاعدة سفينة الفضاء الهائلة ..

ومع موجة التضاغط الهائلة ، طارت أجساد الكائنات الفضائية ، وارتطمت بالجدران ، و ...

وتهشمت ..

نعم .. تهشمت ، كما لو كانت مجرد تماثيل فارغة من الفخار ..

وعلى الرغم من الارتداد الذى أصاب ( نور ) و ( أكرم ) ، مع عنف الانفجار ، تصاعدت فى أعماقهم دهشة عارمة ، لرؤية تلك الكائنات تتهشم على هذا النحو ..

وصاح ( أكرم ) :

- هل رأيت هذا يا ( نور ) ؟.. هل رأيته ؟!

هتف به ( نور ) :

- لا تجعل هذا يوقفك .. أكمل مهمتك .



استدار ( أكرم ) فى حزم إلى السفينة الفضائية ، وصاح وهو يطلق نحوها صاروخه الثانى :

- احتم بأى شىء يا ( نور ) .

ومع آخر حروف كلماته ، انفجر الصاروخ الثانى ، ونسف قاعدة السفينة تمامًا ، فمالت على نحو مخيف ، ثم هوت فوق عدد ضخم من الأسطوانات الزجاجية ، وهشمته كله ، وسحقت الأجساد الفضائية الهشة داخلها ..

وقبل أن يطلق ( أكرم ) صاروخه الثالث ، سمع ( نور ) يقول فى صرامة :

- لقد وصل .

ومع الكلمة ، استدار ( أكرم ) فى سرعة ..

ورآه ..

رأى ذلك الكائن المدرع ، عند مدخل القاعة السرى ، و ( نور ) يصوب إليه أحد الأسلحة الجديدة ، قائلاً :

- خذها منى أيها الوغد .

وأطلق سلاحه ، الذى اندفعت منه كرة كبيرة ، ارتطمت بالكائن ، وتفجرت مثل فقاعة كبيرة ، وانطلق منها حامض مركز ، سال على صدره ، وتصاعدت منه أبخرة كثيفة ..

ولكن الكائن تجاهل هذا تمامًا ، على نحو يوحى بأنه لم يتأثر به البتة ، ورفع يده نحو ( نور ) ، وانطلق من

قفازه شعاع أحمر قان ..

وثب ( نور ) جانبًا بأقصى سرعة ، وشعر بطاقة هائلة ، تعبر على قيد سنتيمترات منه ، قبل أن ترتطم بالجدار الصخرى ، الذى تألق جزء منه بشدة ، ثم ذاب بغتة ، وتحول إلى حمم مصهورة ..

وبسرعة ، أدار الكائن قفازه نحو ( نور ) ثانية ..

وفى هذه المرة ، صرخ ( أكرم ) :

ـ أيها الوغد .

وأطلق صاروخه الثالث ..

وفى هذه المرة ، انفجر الصاروخ فى صدر المدرع ، وأطاح به بعيدًا فى عنف ، ليضرب به الجدار ، الذى ارتدّ عنه ، كما لو كان مصنوعًا من المطاط ، وهبط واقفًا على قدميه ثانية ..

ولكن فى اللحظات التى حدث فيها هذا ، كان ( نور ) و ( أكرم ) يعدوان بأقصى سرعتهما فى المكان ، بحثًا عن وسيلة للفرار ، وصاح ( نور ) :

ـ احتم بتلك الأسطوانات يا ( أكرم ) .. لن يجرؤ على إطلاق أسلحته نحوها .

انطلق ( أكرم ) وسط تلك الأسطوانات بالفعل ، وأدرك منذ اللحظة الأولى أن ( نور ) على حق ..

لقد توقف المدرع صامتًا ساكنًا ، يراقبهما فى حذر ،



دون أن يطلق أيًا من أسلحته نحوهما ..

كان من الواضح أنه لا يجرؤ على تدمير سادته .. مهما حدث ..

ووسط الأسطوانات الزجاجية ، لهث ( أكرم ) ، قائلاً :

ـ كنت على حق يا ( نور ) .. لن يصيبنا هنا .

أجابه ( نور ) فى توتر :

ـ ولكننا لن نستطيع البقاء هنا إلى الأبد ، ولن ...

بتر عبارته بغتة ، هاتفًا :

ـ انظر ..

التفت ( أكرم ) إلى حيث يشير ( نور ) ، وانعقد حاجباه فى شدة :

كان زعيم الكائنات الفضائية يخرج من مكمنه ، ويتجه نحو الكائن المدرع فى هدوء وبطء ..

وانحنى المدرع ، معلنًا طاعته للزعيم ، الذى تطلع إليه فى صمت ، ويده الطويلة الرفيعة تتحرك على نحو عجيب ، وأصابعه الدقيقة تتلاعب بالهواء ..

وقال ( أكرم ) فى حيرة :

ـ ما الذى يفعله بالضبط ؟

راقب ( نور ) الموقف فى اهتمام شديد ، وهو يجيب :

ـ يبدو أنها لغة ما .

هتف ( أكرم ) فى دهشة :

- لغة ؟!
أجابه ( نور ) :
- نعم .. لغة أشبه بتلك التى يتم التعامل بها مع الصمّ والبكم .
قال ( أكرم ) ، وقد تضاعفت دهشته :
- ولماذا يستخدم معه لغة تعتمد على الإشارات ؟
انعقد حاجبا ( نور ) ، وهو يقول :
- ربما لأن أحدهما لا يمكنه التحدُّث بلغة الآخر ، أو ...
قبل أن يكمل عبارته ، استدار ذلك الكائن ، يحدجهما بعينيه الكبيرتين الحمراوين ، اللتين تألّقتا فى شدة ..
كان من الواضح أنه تلقى أمرًا حاسمًا من سيّده ..
أمرًا جعله يلتفت إليهما ، و ...
ويطلق من عينيه تلك الأشعة الحمراء القاتلة ..
وفى الضربة الأولى ، أصابت الأشعة أسطوانة كبيرة ، فاشتعلت بها النيران بغتة ، وهى تذوب بسرعة مذهلة ..
وقبل أن يطلق حزمة الأشعة الثانية ، كان ( نور ) و ( أكرم ) قد أدركا الأمر ، الذى تلقاه الكائن من الزعيم ..
لقد أصبح عليه أن يضحى بأى عدد من الكائنات الأخرى ، فى سبيل هدف محدود ..
القضاء على ( نور ) و ( أكرم ) .

* * *



# ١٠ - حرب مريخية ..

« ( نشوى ) تلد ... »
هتف الطبيب بالعبارة ، فأسرعت إليه الممرضة ، هاتفة :
- هل نتخذ الاستعدادات ؟
أشار بيده ، قائلا :
- لا يوجد وقت لهذا .. لقد باغتتها آلام الوضع ، ويبدو أن طفلها يصرّ على القدوم بسرعة .
سألته الممرضة مرتبكة :
- ماذا أفعل إذن ؟
أجابها فى حزم :
- لا شىء .. لا شىء ..
تابعت ( نشوى ) حديثهما فى صمت ، وهى تتساءل فى دهشة : لماذا لا تشعر بآلام عنيفة ؟!
نفس الآلام ، التى قالوا عنها : إنها مجرّد تقلصات بسيطة ..
يبدو أنهم يجهلون طبيعة آلام الوضع الحقيقية ..
أو طبيعتها هى ..

إنها بالتأكيد تختلف عن كل من حولها ..

إنها لم تسر فى خطوات النمو الطبيعية ..

لم تعرف أبدًا مرحلة المراهقة ..

لِمَ لا يكون هذا قد ترك أثره فى تكوينها العام أيضًا ؟!..

أو انتقل كعامل وراثى إلى طفلها ..

شعرت برغبة شديدة فى معرفة الجواب ، على الرغم من دقة الموقف ، فهتفت :

- ( رمزى ) .. أين ( رمزى ) ؟

تجاهلها الطبيب والممرضة تمامًا ، فقالت فى قلق :

- لماذا لا تجيبون ؟.. أين زوجى ؟

ومرة أخرى ، تجاهل الطبيب سؤالها ، وهو يقول :

- ها هو ذا .. لقد خرج ابنك إلى الوجود يا سيدتى .

أدهشها هذا القول تمامًا ، فلم تشعر قط أنها أنجبت ، أو ...

ولكن مهلاً ..

إنه يقول : ابنك ..

المفترض أن تلد أنثى ..

كل الفحوص أكدت هذا ..

وبسرعة ، انتقلت الفكرة من رأسها إلى شفتيها ، وهى تقول :



- المفترض أنها أنثى .

أجابها الطبيب مبتسمًا :

- كلاً .. إنه طفل طبيعى بسيط ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفعت يد الطفل ، وهوت على وجهه بغتة ..

واتسعت عينا الطبيب فى رعب ، والدماء تسيل من جرح غائر فى وجنته ، فى حين استدار إليها الطفل ..

وارتجفت ( نشوى ) فى هلع ..

لا ..

إنه ليس طفلاً طبيعيًا أبدًا ..

إنه وحش ..

وحش مخيف ، جعلها تصرخ فى رعب :

- لا .. هذا ليس ابنى .. ليس ابنى .

وانتفضت فى عنف ، وهى تستيقظ فجأة ، و ( رمزى ) يمسك كتفيها ، ويقول فى قلق :

- ( نشوى ) .. استيقظى يا حبيبتى .. يا للكابوس اللعين !

حدّقت فيما حولها بدهشة ، ثم انفجرت باكية ، وتعلّقت بعنقه ، هاتفة :

- إنه كابوس جديد .. كابوس جديد يا ( رمزى ) .

تنهد فى أسى ، وهو يقول :

ـ أعلم هذا يا حبيبتى .. أعلم هذا .. كنت أتصور أن هذه الكوابيس ستنتهى بعد أن تضعى طفلنا ، ولكنها استمرت للأسف ، و ...

قاطعته ، وهى تبتعد عنه فى دهشة وعنف :

ـ بعد أن أضع طفلى ؟!.. وهل فعلت ؟

تطلع إليها فى دهشة ، وهو يقول :

ـ بالطبع يا حبيبتى .. كيف لم تدركى هذا ؟!.. لقد أنجبت طفلا قويًا .

هتفت :

ـ طفل ؟!.. طفل أم طفلة يا (رمزى) ؟

أشار إلى المهد المجاور لها ، وهو يقول :

ـ بل طفل يا (نشوى) .. ها هو ذا .

استدارت بسرعة إلى المهد ، ثم انتفض جسدها فى عنف ، وهى تصرخ :

ـ لا .. لا .. مستحيل !

كان الطفل الذى يرقد فى المهد ، هو نفسه صاحب الوجه البشع ، الذى رأته فى كوابيسها ، والذى ...

« (نشوى) .. استيقظى يا حبيبتى .. استيقظى .. »

انتزعها ذلك الصوت من عالم الأحلام بغتة ،



فاستيقظت بحق هذه المرة ، وحدقت فى وجه (رمزى) ، هاتفة :

ـ رباه !.. كان كابوسا مزدوجا هذه المرة .. لقد رأيت نفسى أنهض من كابوس . لأغوص فى آخر .

قال فى حنان ، وهو يضمها إليه برفق :

ـ لا بأس يا حبيبتى .. لا بأس .. الموقف المحيط بنا يملأ نفسك بتوترات لا حصر لها ، وكل هذا سينتهى ، بعد أن تضعى حملك .

سرت فى جسدها ارتجافة ، وهى تقول :

ـ لا تقل هذا .

سألها فى دهشة :

ـ لماذا ؟!

أجابته فى عصبية :

ـ لأنه نفس ما قلته فى الكابوس .

ابتسم فى حنان مشفق ، وضمها إليه مرة أخرى ، وربت على ظهرها ، قائلا :

ـ كل شىء سينتهى على ما يرام .. كل شىء .

ما إن نطق عبارته ، حتى انبعث من جهاز الاتصال صوت يقول :

ـ من المكوك السياحى إلى المستعمرة .. أمامنا

عشرون ساعة ، قبل أن نصل إليكم .. استعدوا لاستقبالنا .

اتسعت عينا ( رمزى ) ، وهتف فى حماس ، وهو يقفز إلى جهاز الاتصال :

ـ حمدًا لله .. لقد عاد إلى العمل .. كنت أظن أننى لم أفلح فى إصلاحه .

واختطف بوق الجهاز ، قائلا فى لهفة :

ـ من المستعمرة إلى المكوك .. أريد التحدث مع الربان مباشرة .. أنا القائد ( رمزى ) .. قائد المستعمرة المريخية .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يأتيه صوت الربان ، قائلاً :

ـ هنا ربان المكوك .

أجابه ( رمزى ) فى سرعة :

ـ هنا القائد .. الأمور ليست ملائمة لاستقبالكم بعد .. سنبلغكم عندما تصبح كذلك ، وإلا فسيتحتم عليكم العودة إلى الأرض .

هتف الربان فى دهشة :

ـ العودة ؟!.. بعد أن قطعنا هذه المسافة ؟!

قال ( رمزى ) فى صرامة :



ـ أيهما أفضل بالنسبة لك .. خسارة خمسة أيام من السفر فى الفضاء ، أم قبر أنيق جميل فى المريخ ؟

صمت الربان لحظة ، قبل أن يجيب متوترًا :

ـ فى بعض الأحيان لا يعنى الوقت الكثير .

تنهد ( رمزى ) فى ارتياح ، فقالت ( نشوى ) فى لهفة :

ـ أريد التحدث إلى أمى يا ( رمزى ) .. أرجوك .

أومأ ( رمزى ) برأسه إيجابًا ، وقال عبر بوق الاتصال :

ـ هل يمكننا التحدث إلى السيدة ( سلوى ) ، زوجة الضابط ( نور ) ؟!

زفر الربان فى توتر ، وهو يجيب :

ـ كلاَّ .. لا يمكنكم هذا ، فالسيدة ( سلوى ) والسيدة ( مشيرة ) لم تعودا هنا بعد .

شحب وجه ( نشوى ) ، وهى تهتف فى ارتياع :

ـ أمى .. يا إلهى !

فى حين سأل ( رمزى ) فى هلع :

ـ كيف هذا ؟.. ماذا حدث بالضبط ؟

راح الربان يروى له ما حدث ..

وانهارت ( نشوى ) أكثر ..

وأكثر ..

* * *

تراجع ( نور ) و ( أكرم ) فى سرعة ، مع اشتعال النيران فى الأسطوانة الكبيرة ، وهتف الأخير فى حنق :

ـ ذلك الوغد قرر التضحية بكل شيء ، ليظفر بنا .

ثم حمل مدفعه الصاروخى ، مستطردا فى غضب :

ـ سأرسل إليه تحياتى ، مع صاروخنا الجديد .

جذبه ( نور ) فى شدة ، هاتفا :

ـ لا .. لن تفعل هذا .

ثم انطلق يعدو بين الأسطوانات الكبيرة ، فتبعه ( أكرم ) بسرعة ، وهو يقول فى حنق :

ـ لماذا منعتنى من هذا ؟!

أجابه ( نور ) ، وهو يثب عبر أسطوانة :

ـ لم يعد لدينا سوى صاروخ واحد ، وهو لن يوقفه ، وإنما سيعطله قليلاً فحسب ، ونحن نحتاج إلى هذا الصاروخ بشدة .

سأله فى عصبية ، وهو يعبر الأسطوانة بقفزة مماثلة :

ـ فيم ؟



لم يكد ينطقها ، ويتجاوز تلك الأسطوانة ، حتى انقضت عليها حزم الأشعة الحمراء ، فاشتعلت فيها النيران بدورها ، ثم ذابت بسرعة ، مع الجسد الراقد داخلها ..

وهنا أدرك ( أكرم ) دقة الموقف وخطورته ، وهتف :

ـ ربّاه !.. هذا الوغد كاد يسحقنا يا ( نور ) .. أين يمكننا الفرار منه ؟

قال ( نور ) ، وعيناه تدوران فيما حوله ، فى توتر بالغ :

ـ لست أدرى يا ( أكرم ) .. لست أدرى .

انطلقت حزمة أخرى من الأشعة ، فى اللحظة نفسها ، وتجاوزتهما بمعجزة هذه المرة ، لتصطدم بالجدار ، وتذيب جزءًا منه على الفور .

وفى نفس اللحظة ، التى حدث فيها هذا ، لمح ( نور ) المخرج ..

كان عبارة عن مجموعتين من الدرجات الحجرية ، تهبط إحداهما إلى أسفل ، وتصعد الثانية إلى أعلى ..

ودون أن يضيع لحظة واحدة ، اندفع ( نور ) نحو المجموعة الثانية ، صائحا :

ـ هنا يا ( أكرم ) .

انطلق ( أكرم ) خلفه ، وهو يتوقَّع أن تنقضَّ حزمة الأشعة الحمراء على ظهره ، وتسلبه حياته ، قبل أن يبلغ السلم ..

ولكن المدرَّع لم يطلق أشعته ..

لم يفعل ؛ لأن مخزونه منها كان قد انتهى ونضب ..

تمامًا ككل سلاح يستخدمه ..

لابد أن ينتهى فى لحظة ما ..

ولكن المشكلة أن أسلحته عديدة وغزيرة ..

ومخيفة ..

ففى هذه المرة ، انطلقت من تجاويف دقيقة فى قفازه ، مادة رغوية عجيبة ، لم تكد ترتطم بظهر ( أكرم ) ، حتى التصقت به تمامًا ، وتضاعف وزنها بسرعة ، فصرخ هذا الأخير :

- إلىَّ يا ( نور ) .. لقد منعنى الوغد من الحركة .

جذبه إليه ( نور ) بكل قوته ، وراح يعاونه على الصعود فى درجات السلم ، وهو ينتزع تلك المادة عن ظهره ، و ( أكرم ) يهتف محنقًا :

- يبدو أننا أصبحنا بالنسبة إليه ، مجرَّد فئران تجارب ؛ لاختبار أسلحته المختلفة .

قال ( نور ) فى حزم :



- خطأ يا صديقى .. إنه يفقد أسلحته ، واحدا بعد الآخر .

قال فى سخط ، وهو يدفع نفسه إلى أعلى فى صعوبة :

- عظيم .. تُرى هل سنظلّ على قيد الحياة ، عندما تنفذ أسلحته كلها ؟

التصقت المادة الغروية بالجدار هذه المرة ، فاستطرد :

- آه .. هنا ينتهى الأمر .

كان وقع قدمى المدرَّع يقترب ويقترب ، فانعقد حاجبا ( نور ) فى شدة ، وهو يقول .

- ( أكرم ) .. اضغط الزر الأزرق فى حزامك .

ضغط ( أكرم ) الزر بالفعل ، وهو يقول :

- وما المفترض أن يؤدى إليه هذا ؟

أجابه ( نور ) ، وهو يتابع تقدم المدرَّع فى توتر شديد :

- إنه يرفع درجة حرارة الزى الفضائى الخارجية ، وأتعشَّم أن يفلح هذا فى إسقاط تلك المادة .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ظهر الكائن المدرَّع ، عند مدخل السلم ..

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ظهر الكائن المدرَّع ، عند مدخل السلم ..

وبسرعة ، انتزع ( نور ) من حزامه قنبلة محدودة ، ألقاها نحوه ، هاتفًا :

ـ أعلم أن هذا لن يوقفك .

اصطدمت القنبلة بصدر الكائن ، وانفجرت لتدفعه بعيدًا فارتطم بإحدى الأسطوانات ، وحطمها ، وسحق الكائن الفضائى داخلها ، قبل أن ينهض ثانية فى سرعة ..

ولكن الانفجار كان قد انتزع ( أكرم ) من الجدار أيضًا ، ودفعه مع ( نور ) إلى أعلى السلم ، فهتف ، وهو يتخلَّص من المادة الغروية :

ـ فكرتك نجحت يا ( نور ) .

هتف به ( نور ) :

ـ أسرع إذن ، قبل أن يلحق بنا هذا القاتل .

انطلقا يعدوان ، عبر درجات السلّم ، ومن خلفهما دوى انفجار آخر ، أطاح بهما إلى الأمام فى عنف ، ليسقطا وسط القاعدة العلوية الضخمة .

وعلى الرغم من آلامه ، هتف ( نور ) :

ـ وصلنا إلى الهدف يا ( أكرم ) .

قال ( أكرم ) فى ألم :

ـ السؤال هو : هل وصلنا سالمين ؟

التقط ( نور ) منه المدفع الصاروخى ، قائلاً فى حزم :

ـ المهم أننا قادرون على تنفيذ الهدف الرئيسى للمهمة .

وصوّب مدفعه إلى مركز التحكُم ، الذى تم تحديده مسبقًا ، و ...

وفجأة ، هتف ( أكرم ) :

ـ مهلاً يا ( نور ) .

استدار إليه ( نور ) فى تساؤل ، ورآه يشير إلى الأسطوانات ، التى تحوى أجساد الشبان ، قائلاً :

ـ ما ستفعله قد يؤذى هؤلاء المساكين .

انتفض جسد ( نور ) فى عنف ، وهو يحدّق فى هذا المشهد المخيف ..

وبكى قلبه بدموع من دم ..

لقد تحوّل المساكين إلى هياكل عظمية ممصوصة ، فقدت كل أثر للحيوية والطاقة ..

وربّما الحياة أيضًا ..

وفى مرارة ، عاد ( نور ) يصوّب مدفعه إلى مركز التحكم ، مغمغمًا :

ـ لم يعد بإمكاننا أن نفعل لهم شيئًا يا ( أكرم ) .



عضّ ( أكرم ) شفتيه فى أسف وأسى ، متمتمًا :

ـ حقًا ؟!

ولو أن الظروف تختلف ، لتم تسجيل هذه اللحظة النادرة ، فى تاريخ فريق ( نور ) الجديد ..

( نور ) الرقيق ، المرهف الحس ، يصوّب مدفعًا صاروخيًا بكل صرامة ، إلى مركز التحكم ، لمنع آلاف الكائنات الفضائية من العودة لحالة اليقظة ، و ( أكرم ) القاسى العنيف يكاد يبكى ، من مشهد الشبان المساكين ، الذين ضاعت أرواحهم هباءً ..

ومن المؤسف أن هذا لم يُسجّل ..

بل ، ولم ينتبه إليه حتى ( نور ) أو ( أكرم ) ..

كل ما كان يملأ كيانهما ، فى هذه اللحظة ، هو أن يتم تدمير كل هذا ..

لذا فقد أطلق ( نور ) صاروخه ..

ونسف مركز التحكم ..

وفى هذه المرة ، كان التأثير عنيفًا للغاية ..

لقد انطلقت فى المكان فرقعة هائلة ، وكأنما حدث انخفاض مباغت فى الضغط ، وانفتح باب القاعة فى عنف ، وتفجّرت موجة تخلخلية هائلة ، انتزعت ( نور ) و ( أكرم ) من مكانهما ، وألقت بهما خارج القاعة ..

بل خارج الكهف كله ..

وفى عنف ، راحا يتدحرجان فوق صخور الجبل ، حتى استقرا عند سفحه ، والآلام تنتشر فى جسديهما بلا حدود ..

وبكل آلامه ، هتف ( أكرم ) :

- ( نور ) .. أأنت بخير ؟!

أجابه ( نور ) ، وهو يحاول النهوض فى صعوبة :

- حمدا لله .. لقد احتمل الزى الفضائى كثيرا ، مما يثبت أنه ابتكار جيد بالفعل .

نهض ( أكرم ) بدوره ، وهو يقول :

- جيد أو غير جيد .. المهم ماذا حدث الآن ؟

تنهد ( نور ) ، قائلا :

- يبدو أن تلك القاعة كانت مجهزة بحيث تناسب حياة البشر .

قال فى دهشة :

- وكيف هذا ؟!.. إنها تتصل بالقاعة السفلى ، والأخيرة لها مدخل سرى بسيط ، يتصل بالجو المريخى مباشرة !

هز ( نور ) رأسه نفيا ، وهو يقول :

- لست أدرى ، ولكن جهاز التحكم كان يتولى هذا



الأمر بالتأكيد . فلم يكد ينفجر ، حتى اختل التوازن ، وحدث ما حدث .

سأله ( أكرم ) فى اهتمام :

- وماذا عن تلك الأسطوانات ؟!

أجابه فى حزم :

- لقد رأيتها تتحطم فى عنف ، مع الانخفاض المباغت فى الضغط .

هتف ( أكرم ) فى فرح :

- كلها ؟!

هز ( نور ) رأسه نفيا ، وهو يجيب :

- لا يمكننى الجزم ، فلم ألمح ما حدث سوى لحظة واحدة .

قال ( أكرم ) فى انفعال :

- إذن فقد حانت لحظة الحسم .

تطلع إليه ( نور ) متسائلا ، فاستطرد فى حزم :

- الآن فقط سنعرف رد فعل ذلك الوغد ، وما إذا كان سيتوقف ، أم يزداد جنونا .

انعقد حاجبا ( نور ) ، وهو يقول :

- أعتقد أنه لن يتوقف .

انتبه ( أكرم ) إلى أن ( نور ) يحدق فى نقطة ما ، فاستدار إليها فى حركة حادة ، وهتف :

- اللعنة !

فهناك ..

عند مدخل الكهف بالضبط ، كان يقف الكائن المدرّع ، مصوبًا إليهما يده ..

وبسرعة مدهشة ، جذب ( نور ) ( أكرم ) بعيدًا ، وهو يهتف :

- ابتعد .

وفى اللحظة نفسها ، أطلق الكائن صاروخه ..

ودوى انفجار عنيف على سطح المريخ ..

وفى هذه المرة ، لم يدفعهما الانفجار أمامه ، وإنما انطلقا هما يعدوان بأقصى سرعتهما ، فى محاولة للفرار من ذلك السفاح ..

وبدأت مطاردة جديدة على المريخ ..

مطاردة بين قاتل وبطلين ..

ولم تستمرّ هذه المطاردة طويلاً ..

لقد انتهت هناك ، على قمة أحد التلال المريخية ، عندما وقف المدرّع على قيد ثلاثة أمتار من ( نور ) و ( أكرم ) ، مصوبًا إليهما قفازه ، فاندفع ( أكرم ) نحوه ، ولكن الصاروخ انطلق ، و ...

ودوى الانفجار ..

الانفجار الذى بدا لـ ( رمزى ) و ( نشوى ) أشبه بإعلان نهاية ..

نهاية ( نور ) و ( أكرم ) ..

* * *



## ١١ - الخطر ..

سرى توتر ملحوظ فى جسد ( مشيرة ) وصوتها ، وهى تلقى نظرة على ساعة يدها ، مغمغمة :

- عجبًا !.. المفترض أن نكون الآن على سطح المريخ ، ولكننى لا ألمح أية كواكب سيّارة حولنا .

تلفتت ( سلوى ) حولها ، قائلة فى قلق عارم :

- هذا صحيح .. الفضاء يبدو حولنا متشابهًا ، فى كل الاتجاهات ، حتى أننى أخشى أن ...

لم تستطع إكمال عبارتها ، لشدة توترها وانفعالها ، فأكملت ( مشيرة ) :

- هذا ما أخشاه أيضًا يا ( سلوى ) .

وارتجف صوتها فى شدة ، وهى تضيف :

- إننا أصبحنا مفقودتين فى الفضاء .

شهقت ( سلوى ) :

- مفقودتان ؟!

ثم خفضت بصرها إلى أجهزة وعدادات المركبة ، قبل أن تستطرد مضطربة :

- ماذا لو أن .... ؟

لم تكمل عبارتها ، وإنما راحت تفحص الأجهزة

والعدادات بسرعة ، ثم ضغطت أزرار جهاز الكمبيوتر ، المتصل بشاشة المركبة ، وهى تراجع البرنامج والبيانات ، قبل أن تهتف مذعورة :

- رباه !.. هذه المركبة ليست مجهزة أو معدة للسفر إلى المريخ .. إن برنامجها لم يكتمل بعد .

صرخت ( مشيرة ) فى ارتياع :

- لم يكتمل بعد ؟!

واتسعت عيناها فى رعب ، وهى تحدق فى الفضاء المحيط بهما ، مستطردة بصوت ملؤه الذعر والانهيار :

- إذن فقد ضعنا بالفعل يا ( سلوى ) .. ضعنا فى الفضاء السرمدى .

هبط عليهما الوجوم طويلا ، والمركبة تنطلق إلى هدف مجهول ، وهما تحدقان فى الفراغ ذاهلتين ، قبل أن تقول ( سلوى ) :

- إنه خطؤنا .. لم يكن ينبغى أبدًا أن نفعل هذا .. لم يكن ينبغى أبدًا .

انفجرت ( مشيرة ) باكية ، وهى تقول :

- إنه أكبر خطأ ارتكبته فى حياتى كلها ، وسيكون ثمنه فادحًا .. الضياع فى فضاء لا نهائى ، دون مؤن كافية .. يا لها من ميتة بشعة .



انحدرت دموع ( سلوى ) ، وهى تقول :

- ( نشوى ) و ( نور ) سيحزنان كثيرًا .

قالت ( مشيرة ) من وسط دموعها :

- و ( أكرم ) أيضًا .

بكت ( سلوى ) فى حرارة ، قائلة :

- لقد أخطأنا يا ( مشيرة ) .. أخطأنا بشدة .. ليت الزمن يعود بنا إلى الخلف ، حتى لا نفعل هذا .

سألتها ( مشيرة ) فى مرارة :

- ألا يمكننا إرسال نداء استغاثة مثلاً ؟

أجابتها فى ألم :

- بل يمكننا هذا بالتأكيد ، ولكن بم يفيد هذا ؟. إننا نتخذ مسارًا مجهولاً ، فكيف يمكن أن نرشد أحدًا إلى موقعنا ؟

هتفت ( مشيرة ) :

- ألا توجد وسيلة ؟!.. أية وسيلة ؟!

صمتت ( سلوى ) طويلا ، وهى تعتصر مخها ، فى محاولة للعثور على حل منطقى للخروج من الأزمة ، ثم لم تلبث أن قالت فى لهفة :

- نعم .. ربما كانت هناك وسيلة .

كادت ( مشيرة ) تقفز من مقعدها ، صارخة :

ـ حقًا ؟!

أجابتها ( سلوى ) فى حماس :

ـ نعم .. يمكننا إعادة برمجة المركبة ، طبقًا للخريطة الملاحية داخلها ، بحيث تنطلق بنا إلى المريخ .

هتفت ( مشيرة ) :

ـ هل يمكن هذا حقًا ؟!

بدأت ( سلوى ) تضغط أزرار الكمبيوتر فى سرعة ، قائلة :

ـ ليس أمامنا سوى المحاولة .

ظلت تعمل لبضع لحظات ، ثم تراجعت بحركة حادة عنيفة ، فسألتها ( مشيرة ) فى فزع :

ـ ماذا حدث ؟!

شحب وجه ( سلوى ) بشدة ، وهى تجيب :

ـ لا توجد فى البرنامج خريطة ملاحية .

تجمّدت الدماء فى عروق ( مشيرة ) ، وهى تقول :

ـ ماذا ؟!

ثم انهارت على مقعدها ، مستطردة :

ـ إنها النهاية إذن .. أبشع نهاية .

وانفجرت باكية فى عنف ، وشاركتها ( سلوى ) دموعها لدقيقة أو يزيد ، ثم توقّفت عن البكاء بغتة ، قائلة :



ـ مهلا .. هناك حل بالتأكيد .

توقّفت ( مشيرة ) عن البكاء بدورها ، وقالت مبهوتة :

ـ حل آخر ؟!

أجابتها ( سلوى ) بسرعة :

ـ نعم .. يمكننا أن نعكس البرنامج الحالى ، فيعيدنا إلى نفس النقطة ، التى انطلقنا منها .

هتفت ( مشيرة ) :

ـ إلى مسار المكوك .. رائع .. فكرة عبقرية يا ( سلوى ) .

اعتدلت ( سلوى ) ، وراحت تعمل مرة أخرى فى حماس ..

وفى هذه المرة ، لاح الأمل ..

الأمل الأخير ..

* * *

انتفضت ( نشوى ) فى عنف ، عندما التقطت الأجهزة دوى ذلك الانفجار ، فوق التلّ المريخى ، وصرخت فى هلع :

ـ لا .. مستحيل !.. لا يمكن أن أفقد أبى وأمى فى يوم واحد .. لا يمكن .

أسرع إليها ( رمزى ) يهدئ من روعها ، وهى تصرخ وتصرخ ، فصاح الطبيب :

- إنها تحتاج إلى مهدئ .

ثم استدرك فى مرارة :

- ولكننا لم نحضره معنا للأسف .

احتواها ( رمزى ) بين ذراعيه ، وراح يربت عليها فى حنان ، قائلا :

- اهدئى يا عزيزتى .. اهدئى .. إننا لم نفقد أحدهما بعد .. أعنى ليس لدينا دليل يشير إلى فقدهما .

قالت فى انهيار :

- ألم تسمع ما قاله ربان المكوك ؟!.. لقد استقلت أمى و ( مشيرة ) مركبة فضائية ، لم يكتمل برنامجها بعد ، وفقدتا فى الفضاء .

قال بسرعة :

- ليس بعد .. ربما وجدتا وسيلة للعودة .. أمك ليست هاوية ، و ( مشيرة ) لا تنقصها الحيلة .

حدقت فى وجهه غير مصدقة ، وهى تغمغم :

- هل تعتقد أنه من المحتمل أن ينجيا ؟

أومأ برأسه إيجابا ، وقال :

- لا يمكننا أن نفقد الأمل فى الله (سبحانه وتعالى) قط .



غمغمت ، وهى تخفض عينيها باكية :

- ونعم بالله .

ثم عادت ترفع عينيها إليه ، مستطردة :

- ولكن أبى .. لقد سمعت الانفجار .

أجابها فى حسم :

- إنه ليس أول انفجار نسمعه .

قالت متوترة :

- ولكنه الأقرب .

قال فى سرعة :

- وربما جاء بعده انفجار آخر .

ثم ابتسم ، مغمغمًا :

- ثم إننا لا نعرف من سقط ضحية الانفجار .. ربما كان ( نور ) و ( أكرم ) هما الظافرين !

سالت دموعها على وجنتيها ، وهى تقول :

- أنت تقول هذا لتهدئ من روعى فحسب .

أجاب فى حزم :

- بل أقوله لأننى أومن باحتمال صحته .

ثم نهض ، مستطردًا :

- وسأثبت هذا بنفسى .

سألته فى قلق :

ـ كيف ؟!

شدّ قامته فى اعتداد ، مجيبًا :

ـ سأخرج للبحث عن ( نور ) و ( أكرم ) ، ومعاونتهما إذا اقتضى الأمر .

قالت جزعة :

ـ ولكن ..

قاطعها فى صرامة :

ـ إنهما يخاطران بحياتهما من أجلنا ، ومسئوليتى كقائد للمستعمرة ، تحتّم علىَّ الانضمام إليهما .

وضعت يدها على بطنها ، قائلة :

ـ وماذا لو فاجأتنى آلام الوضع ، وأنت فى الخارج ؟

أجابها الطبيب بسرعة :

ـ نحن هنا .. سنذهب أنا وممرضتى لإحضار كل الأدوات اللازمة ، ونجلس إلى جوارك ، حتى تحين اللحظة المناسبة .

كانوا يقطعون عليها خط الرجعة تمامًا ، فخفضت عينيها ، مغمغمة :

ـ فليرعك الله ( سبحانه وتعالى ) يا زوجى الحبيب .

ابتسم فى حنان ، وهو يربّت على خدها فى رقة ، قائلا :



ـ اطمئنى يا حبيبتى .. لن أغيب عنك طويلا بإذن الله .

غادر المبنى مع الطبيب والممرضة ، واتجه كل منهم لشأنه ، وبقيت هى وحدها ..

كانت تعلم أن الطبيب والممرضة سيعودان إليها بعد نصف ساعة على الأكثر ، ولكنها كانت تشعر بقلق عنيف ..

والعجيب أن غريزتها كأنثى أنبأتها بأن قلقها لا يتركز على ( رمزى ) فحسب ، بل يمتد منه إلى آخر ..

إلى طفلها ..

ولم تدرك سر هذا الشعور العجيب ..

لم تدركه أبدًا ..

* * *

لم يكد ( أكرم ) يلمح الآلى ، الذى يقف على قيد ثلاثة أمتار ، ويصوّب قفازه ذا الصواريخ إليه وإلى ( نور ) ، حتى قفز من مكانه ، واندفع نحوه ، صارخًا :

ـ أيها الوغد .

وانقضّ عليه فى عنف ، فى نفس اللحظة التى انطلق فيها الصاروخ ..

وصاح (نور) ، وهو يندفع نحوهما :

- يا إلهى !.. ( أكرم ) .

تجاوزه الصاروخ بنصف متر كامل ، بسبب انقضاضة ( أكرم ) المباغتة على الكائن ، الذى كان يقف عند حافة القمة تماما ، فاختلَ توازنه ، وهوى مع ( أكرم ) إلى أسفل ..

وعندما اندفع ( نور ) إلى الحافة ، رأى الاثنان يرقدان أرضًا عند السفح ، وعينا الآلى تتألقان فى شدة ..

وفجأة ، انطلق وميض عنيف فى عقل ( نور ) ، وانتقل بسرعة إلى عينيه ، فأطلَ منهما ذلك البريق المألوف ، الذى يعنى الكثير ..

الكثير جدًا ..

وبسرعة مدهشة ، وقبل أن ينهض الكائن من رقاده ، وينقضَ على ( أكرم )، استلَ ( نور ) مسدسه الليزرى ، وصاح :

- هذا الوغد أصمَ يا ( أكرم ) .. أصمَ .

وقبل أن يفهم ( أكرم ) ما يعنيه هذا ، انطلقت خيوط الأشعة من مسدس ( نور ) ..

وتفجرت فى العينين الحمراوين الكبيرتين ..



ولأوَل مرة منذ وجوده ، أطلق الكائن صرخة ..

صرخة قوية ، عنيفة ، أجشة ، أشبه بعواء ذئب عجوز ..

واتسعت عينا ( أكرم ) فى ذهول ، وهو يقفز إلى الخلف ، هاتفًا :

- يا إلهى !.. لقد نسفت عينيه يا ( نور ) .

صاح ( نور ) :

- إنه مجرَد قناع ، ولكن المهم أنه لا يرانا ولا يسمعنا الآن .

سأله متوترًا :

- وكيف يمكنك الثقة بهذا ؟!

أجابه ، وهو يهبط التل إليه فى سرعة :

- هل نسيت لغة الإشارات ، التى كان يخاطبه بها سيِّده ؟!

هتف ( أكرم ) :

- آه .. هذا هو التفسير إذن .

كان الكائن قد نهض ، وهو يدور حول نفسه فى ثورة ، وعلى نحو يوحى بأنه لم يعد قادرًا على تحديد موضعهما ، فقال ( أكرم ) فى حزم :

- فى هذه الحالة ، يختلف الأمر كثيرًا .

وانتزع من حزامه قنبلة قوية المفعول ، وتقدَّم نحو الكائن بحركة سريعة ، ودفعها فى تجويف صغير ، بين عنق الدرع وصدره ، بعد أن انتزع فتيلها ، قائلا :

ـ خذها هدية وداع منى أيها الوغد .

التفت إليه الكائن فى سرعة ، وحاول أن يضربه بكفه ، ولكنه قفز إلى الخلف فى رشاقة ، هاتفا :

ـ هيَّا بنا يا ( نور ) ، ولنترك هذا الوغد ينفجر وحده .

انطلقا يعدوان مبتعدين بأقصى سرعتهما ، ومن خلفهما دوى انفجار مكتوم ، وقفز جسد الكائن مترين إلى أعلى ، ثم سقط أرضًا ، وتدحرج بضع لحظات فوق صخور المريخ ، قبل أن يستقرَّ جسده ، وتهمد حركته تمامًا .

وتوقَّف ( نور ) و ( أكرم ) ، واستدارا يتطلعان إليه فى صمت ، وكأنهما لا يصدقان أنهما هزماه بالفعل ، وغمغم ( نور ) :

ـ إذن فهى النهاية .

تمتم ( أكرم ) :

ـ نعم .. هى كذلك ؟!

ثم انفجر فجأة ضاحكا بشدة ، ومستطردًا فى جذل وحماس :



ـ ولكننا فعلناها مرة أخرى يا ( نور ) .. فعلناها معًا .

وانطلقت ضحكته عالية مجلجلة ، وسط جبال المريخ ، و ...

وفجأة ، اختنقت الضحكة فى حلقه ..

اختنقت مع مرأى ذلك الكائن ، وهو ينهض فى بطء ، ويهبَّ واقفًا على قدميه ، وينتزع قناعه ، ويلقيه جانبًا ، ثم يحدِّق فيهما بنظرة مخيفة ..

والعجيب أن قناعه ، على الرغم من بشاعته ، كان أفضل كثيرًا من ملامحه الرهيبة ، التى جعلت ( نور ) و ( أكرم ) يتراجعان ، والأخير يقول :

ـ ربَّاه !.. يبدو أنه لا يموت أبدًا يا ( نور ) .

ومع آخر حروف كلماته ، انطلق من درع الكائن قناع آخر مماثل للأوَّل ، أحاط بوجهه بسرعة مدهشة ، قبل أن يرفع يده ، ويطلق صاروخًا جديدًا نحوهما ..

ومن حسن حظهما أن سرعة استجابتهما للمؤثرات الخارجية مدهشة بحق ؛ فما إن لمحاه يرفع يده نحوهما ، حتى انطلقا يعدوان بأقصى سرعتهما ..

ومن خلفهما ، دوى الانفجار الجديد ..

وفى صمت هادئ ، وقف الكائن يراقبهما ، وهما يختفيان خلف أحد التلال ، ثم انطلق عقله يفكر بسرعة مدهشة ..

ثم توصل إلى قرار ..

ودار حول نفسه فى بطء ، قبل أن يتخذ مسارًا مخالفًا لهما تمامًا ..

وفى هذه المرة كان هناك شىء مختلف ..

كان هناك سائل أخضر براق ، يسيل من تحت الدرع ، ليغرق ساقه اليسرى كلها ، ويتساقط خلفه ، وهو يمضى فى طريقه ..

سائل يحلّ عنده محلّ أخطر مادة فى جسم الإنسان ..

الدم ..

* * *

انطلق ( نور ) و ( أكرم ) يعدوان لمسافة طويلة ، قبل أن يتوقف الأوّل لاهثًا ، وهو يقول :

- مهلاً .. إنه لا يطاردنا هذه المرة .

توقف ( أكرم ) ، وهو يهتف فى دهشة وإرهاق :

- لا يطاردنا ؟!

ثم تلفت حوله ، قبل أن يضيف :

- ربما يختبئ هنا أو هناك .

هزّ ( نور ) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- ليس بحاجة إلى هذا .

وتوقف لحظة مترددًا ، قبل أن يتابع فى حزم :



- هناك أمر ما يثير قلقى .

وعاد أدراجه بضع خطوات . فقال ( أكرم ) مستنكرا :

- ماذا تفعل بالضبط ؟.. هل ستعود إليه ؟

أجابه ( نور ) فى إصرار :

- بل أبحث عنه .

سارا معًا عدة أمتار ، حتى بلغا منطقة خالية ، فأشار إليها ( أكرم ) ، قائلا :

- انظر .. لقد اختفى .

قال ( نور ) فى حيرة ، وهو يدير عينيه فى المكان :

- هذا صحيح .. وبلا أثر .

ابتسم ( أكرم ) ، قائلا :

- هل تعتقد أن هذا يحزننى ؟!

أجابه ( نور ) فى لهجة حاسمة :

- بل المفترض أن يقلقك ، فربما كانت هذه مناورة للإيقاع بنا .

انعقد حاجبا ( أكرم ) فى حدة ، وتلفت حوله متوترًا ، وهو يستلّ المسدس الليزرى من حزامه ، قائلا :

- هل تعتقد هذا ؟

ثم مطّ شفتيه فى ازدراء ، وهو يتطلع إلى المسدس الذى يحمله ، قائلا :

ـ يا للسخافة !.. كيف تثقون بهذه الأسلحة العجيبة ؟.. إنها مجرّد ..

انطلق أزيز مباغت ، من زى (نور) الفضائى ، فبتر (أكرم) عبارته ، وهو يسأل فى قلق :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

أجابه (نور) فى اضطراب :

ـ إنه جهاز انذار ، يشير إلى انخفاض مخزون الأكسجين لدينا إلى درجة كبيرة .

قال (أكرم) متوترًا :

ـ دعنا نعد بسرعة إذن ، إلى حيث تركنا السيارة الفضائية الاحتياطية .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ لقد ابتعدنا عن موقعها كثيرًا ، فى أثناء مطاردة ذلك الكائن لنا ، وليس لدينا من الهواء ما يكفى لعودتنا إليها .

بهت (أكرم) ، وهو يقول :

ـ ماذا تعنى ؟!.. هل سنلقى حتفنا هنا ؟

رفع (نور) رأسه إلى أعلى ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة كبيرة ، وهو يجيب :

ـ كلاً لحسن الحظ .



رفع (أكرم) بصره ، إلى حيث ينظر (نور) ، ورأى واحدة من حوّامات المستعمرة تتجه نحوهما ، فهتف فى حماس :

ـ رائع .. هذا ما أطلق عليه اسم الحظ الحسن .

هبطت الحوّامة على قيد أمتار منهما ، وأطلّ منها وجه (رمزى) ، وهو يبتسم ، قائلاً :

ـ إذن فقد انتصرتما على ذلك الوغد .

أسرعا إليه فى لهفة ، و (نور) يجيب :

ـ كنت أتمنى أن أجيبك بالإيجاب يا صديقى ، ولكن هذا لم يحدث للأسف .

قال (رمزى) فى دهشة :

ـ ولكننا سمعنا الانفجارات .

أجابه (أكرم) :

ـ إنها قصة طويلة ، وسنخبرك إياها فى الطريق .. المهم أن تسرع بنا إلى المستعمرة ، قبل أن ينفد مخزون الهواء لدينا .

أشار إلى ركن الحوّامة ، وهو يرتفع بها ، قائلاً :

ـ ستجدان أسطوانات إضافية هنا .

وانطلق مستطردًا ، وهما يستبدلان أسطواناتهما :

ـ ولكن أين ذهب ذلك الكائن ؟

هز (نور) رأسه، قائلا :

ـ لست أدرى ... كان يطاردنا، ثم فجأة، لم يعد هناك .

رفع (رمزى) حاجبيه، وهو يسأل فى قلق :

ـ لا تقل لى إنه يمتلك القدرة على إخفاء نفسه أيضا .

أجابه (نور) :

ـ كلا .. لست أعتقد هذا، ولكنه توقف عن مطاردتنا لسبب ما .

انعقد حاجبا (رمزى)، وهو يغمغم :

ـ إنه أمر يثير القلق .

ارتفع صوت (أكرم)، وهو يقول بغتة :

ـ مهلا .. هل تريان هذا الخط الأخضر ؟

مالا برأسيهما، ليتطلعا إلى خط أخضر فسفورى، يمتد لمسافة ما فى قلب الجبال المريخية، ثم يختفى فجأة، فقال (نور) فى حيرة :

ـ ما هذا بالضبط ؟

هز (رمزى) رأسه، قائلا :

ـ لقد حلقت فوق هذه المنطقة، أكثر من عشر مرات، وهذه هى المرة الأولى، التى ألمح فيها هذا الشىء .



دار بالحوّامة حول الخط الأخضر قليلا، ثم قال (أكرم) :

ـ أعتقد أننا لن نضيع يومنا كله، فى البحث عن تفسير له .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ ولِمَ لا ؟!.. ربما كانت له صلة وثيقة بكل ما حدث .

قال (رمزى) حسمًا للموقف :

ـ سنلتقط عدة صور عامة ومقرّبة للمكان كله، ولهذا الخط الأخضر بالتحديد، ثم نعود أدراجنا .

التقطا عشرات الصور، ثم انطلق (رمزى) بالحوّامة، عائدًا إلى المستعمرة، وتردّد بضع لحظات، قبل أن يقول :

ـ (نور) .. احم .. لقد تلقينا رسالة من المكوك .

قال (نور) فى لهفة :

ـ حقًا ؟! هل تمّ إصلاح أجهزة الاتصال ؟

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا، وتردّد مرة أخرى، وهو يتساءل عما إذا كان من الأفضل أن يخبرهما بأمر (سلوى) و (مشيرة) الآن أم ..

« انظرا !.. »

هتف (أكرم) بالكلمة، فانتزعهما إليه فى عنف،

وهو يشير إلى المنطقة القريبة من المستعمرة ، مستطردًا : ء

- لقد عاد الشريط الأخضر للظهور ..

تابعا ببصرهما ذلك الشريط الأخضر الفسفورى ، الذى نبع من خلف صخرة كبيرة ، وامتد فى خط مستقيم نحو المستعمرة ، و ...

وصرخ ( رمزى ) فى ارتياع :

- ربّاه !.. مستحيل !.. مستحيل !..

فهناك ، وسط الساحة القديمة للمستعمرة ، كان الطبيب وممرضته ممزقان تمامًا ، وقد امتزجت دماؤهما بتلك المادة الخضراء ، التى تمتد مرة أخرى كشريط فسفورى إلى حيث مبنى القيادة ..

وهناك ..

أمام المدخل مباشرة ..

كان يقف ذلك الكائن المخيف ..

والأسوأ أنه لم يكن يقف ساكنًا ، وإنما كان يفتح مدخل المكان ، ويدلف إليه فى خطوات بطيئة ثقيلة ..

يدلف إلى حيث ( نشوى ) ..

( نشوى نور الدين ) .

* * *



# ١٢ - المواجهة الأخيرة ..

« نحن هنا .. هل يسمعنا أحد ؟!.. هل يلتقط إشارتنا أحد ؟!.. »

اتسعت عينا ( نشوى ) فى سعادة ، عندما سمعت هذا النداء ، الذى انطلق عبر جهاز الاتصال ، وصاحت فى لهفة :

- ربّاه !.. إنها أمى .

واختطفت بوق الاتصال ، هاتفة :

- أمى .. حبيبتى .. حمدًا للّه على سلامتك .. أين أنت ؟ وأين ( مشيرة ) ؟!

أتاها صوت ( سلوى ) مليئًا باللّهفة ، وهى تقول :

- ( نشوى ) ؟!.. حمدًا للّه على سلامتك يا بنيتى .. كنت أخشى أن يصيبك مكروه .

أجابتها ( نشوى ) باكية :

- بل أنا بخير والحمد للّه يا أمى .. أنا و ( رمزى ) واثنان من العاملين هنا نجونا من الكارثة ، وأبى و ( أكرم ) يطاردان الوحش الآن ، و ...

قاطعتها ( سلوى ) ، هاتفة فى انزعاج :

- كارثة ؟!.. وحش ؟!.. ماذا حدث عندكم ؟

واندفعت (مشيرة) تهتف غاضبة :

- كنت أعلم أنهما يخدعاننا .. كنت أعلم هذا .

بُهتتْ (نشوى) لرد الفعل ، وغمغمت مرتبكة :

- ألم تكونا على علم بهذا ؟

هتفت (مشيرة) فى غضب :

- ومن أبلغنا به ؟!

أما (سلوى) ، فقالت فى حزم :

- (نشوى) .. لقد وصلنا بصعوبة إلى مسار المكوك ، ولسنا ندرى كيف يمكننا الوصول إلى المريخ .. ارسلى لنا شيئًا نستدلّ به .

أجابتها (نشوى) فى اهتمام :

- فليكن .. سأبث موجة محمولة على الليزر ، ويمكنكما تتبّع مسار الليزر إلى هنا .

صمتت لحظة ، ثم تألّقت نقطة على الشاشة ، مع صوت (نشوى) ، وهى تقول :

- هل التقطتم الإشارة ؟

أجابتها (سلوى) :

- نعم .. وسنتعقّبها ، حتى نصل إليك ، ولكن الأهم أن تبلغينا أوّلاً فأوّلاً بأخبار (نور) و (أكرم) .



أتاهما صوتها ، وهى تقول فى لهفة :

- مهلا .. لقد اجتاز أحدهم مدخل معادلة الضغط ، وهو فى طريقه إلى هنا .. يبدو أن (رمزى) قد عاد ، وسيحمل أخبارهما حتمًا ، و ...

بترت عبارتها بشهقة قوية ، أعقبتها صرخة رعب هائلة ، فشحب وجه (مشيرة) فى شدة ، فى حين هتفت (سلوى) فى ارتياع :

- (نشوى) .. ماذا حدث ؟.. ماذا حدث ؟!

ولكن جهاز الاتصال لم ينقل إليهما أية ردود ، من المستعمرة المريخية ..

مطلقًا ..

* * *

صرخ (رمزى) فى انفعال ، وهو يلمح ذلك الكائن ، فى أثناء دخوله إلى مقر القيادة ، حيث زوجته (نشوى) ، وصاح :

- لقد وصل إليها .. كيف سبقكما إلى هنا ؟

أجابه (نور) فى توتر بالغ :

- لديه وسيلة نجهلها حتمًا ، ولكن هذا لا يهمّ الآن .. المهم أن نهبط بأقصى سرعة .

هتف (رمزى) فى مرارة :

- لا يوجد مكان صالح للهبوط .. الحطام ينتشر فى كل مكان .

قال ( أكرم ) فى حزم وقوة :

- لا تشغل نفسك بالهبوط .. اقترب من الأرض فحسب .

انخفض ( رمزى ) بسرعة ، إلى ارتفاع ثلاثة أمتار ، فهتف ( أكرم ) :

- هيّا يا ( نور ) .

قفز الاثنان من الحوّامة الفضائية ، ولم تكد أقدامهما تلمس الأرض ، حتى انطلق ( نور ) يعدو بكل قوته ، نحو مخزن الأسلحة ، فى حين أسرع ( أكرم ) إلى مدخل مركز القيادة ، وهو يقول فى توتر شديد :

- ربّاه !.. أتعشّم أن نصل فى الوقت المناسب .

راح يضغط زر فتح المدخل عدة مرات ، ولكن المدخل لم يستجب قط ، فاحتقن وجهه فى غضب ، وهو يقول :

- اللعنة !.. ذلك الوغد أفسد المدخل .

وأدار رأسه إلى حيث مخزن الأسلحة فى توتر ، ورأى ( نور ) يغادره ، حاملاً مدفعًا صاروخيًا متعدّد الطلقات ، فهتف به :



- يبدو أننا سنضطر لنسف هذا المدخل يا ( نور ) .

هتف ( نور ) :

- مستحيل !.. لو نسفنا المدخل سينخفض الضغط داخل المكان بغتة ، ويتمزّق جسد ( نشوى ) تمامًا .

صاح ( أكرم ) :

- إنه سيتمزّق على أية حال ، مادام ذلك القاتل الوغد ينفرد بها فى الداخل .

أشار ( نور ) إلى المادة الخضراء ، التى تغمر كل شىء ، وقال فى توتر :

- انظر .. يبدو أن هذه المادة بمثابة الدم له .. لقد آذته قنبلتك بالفعل ، وهو ينزف بغزارة .

قال ( أكرم ) فى عصبية :

- هل تأمل أن يموت متأثرًا بجراحه ؟

أجابه ( نور ) فى حنق :

- بل أبحث عن وسيلة للدخول إلى مركز القيادة ، وإنقاذ ابنتى ، قبل أن يفتك بها ذلك الوغد .

قال ( أكرم ) فى سخط ، وهو يدير عينيه فيما حوله :

- كلنا هذا الرجل .

هتف ( نور ) فجأة :

- آه .. عربة الطوارئ .

وانطلق يجرى نحو مخزن المعدات الضخم ، فهتف به ( أكرم ) :

- أية عربة ؟

غاب ( نور ) داخل المخزن لحظات ، ثم عاد وهو يقود عربة كبيرة ، على سقفها أسطوانة ضخمة ، وأوقف العربة أسفل إحدى نوافذ المبنى ، وضغط زرًا فيها ، فتمددت الأسطوانة بسرعة ، ومالت مع التوجيهات ، التى يرسلها عبر ذراع معدنية صغيرة ، حتى التصقت بجدار المبنى ، حول النافذة تماما ، فهتف ( أكرم ) :

- ما هذا بالضبط ؟!

أجابه ( نور ) :

- ادخل العربة ، وستعرف طبيعتها .

دلف معه ( أكرم ) إلى العربة فى سرعة ، ورأى ( نور ) يتسلق تلك الأسطوانة ، من الداخل ، وهو يقول :

- الآن أصبحت هذه العربة أشبه بحجرة معادلة ضغط ، فالمناخ داخلها الآن أرضى تمامًا ، وهى تحيط بالنافذة ، حتى يمكننا نسفها ، والدخول إلى المكان ، دون أن ينخفض الضغط بغتة ، ويقتل ( نشوى ) .



خلع ( أكرم ) خوذته ، وهو يهتف :

- عظيم .. أنا أميل للقتال فى المناخ الأرضى .

ألصق ( نور ) قطعة صغيرة من مادة أشبه بالبلاستيك ، فى زوايا النافذة الأربع ، وهو يغمغم :

- كل ما أتمناه هو أن تكون ( نشوى ) بعيدا عن النافذة .

مط ( أكرم ) شفتيه ، وهو يقول :

- بل أن تكون على قيد الحياة .

ارتجف قلب ( نور ) بين ضلوعه ، مع عبارة ( أكرم ) ، ولكنه تراجع خطوة ، وضغط زر التفجير بكل قوته ..

وبانفجار محدود ، سقط الحاجز المعدنى مع النافذة داخل المكان ..

ومن خلفه ، قفز ( نور ) و ( أكرم ) ..

وعندما دخلا إلى المكان ، كانا يتوقعان أن تواجههما مشاهد عديدة ، ويمكن القول بأنهما استعدا نفسيًا لمواجهة أسوئها ..

إلا أن ما وجداه أمامهما كان مذهلا ..

مذهلا بحق ..

* * *

كانت ( نشوى ) تتحدث مع أمها ، عبر جهاز الاتصال الفضائى ، عندما سمعت وقع أقدام تقترب من حجرتها ، ثم انفتح الباب بغتة ..

وانتفض جسدها كله فى رعب ، وهى تطلق شهقة عنيفة ، لم تلبث أن تحولت إلى صرخة هائلة ، وهى تحدق فى ذلك الكائن المدرع ، الذى وقف عند المدخل بهيئته البشعة ، وعينيه المخيفتين ، يحدق فيها مباشرة ..

وعبر جهاز الاتصال ، سمعت أمها تصرخ ، وتناديها فى ذعر وهلع ..

إلا أنها لم تنطق بحرف واحد ..

لقد جمدها رعبها الهائل ، وحولها إلى تمثال من لحم دون دم ..

ولدقيقة كاملة ، لم يتحرك الكائن قيد أنملة ، وعيناه المخيفتان تتألقان بوميض متتابع سريع ..

والعجيب أن خوفها لم يتزايد ..

بل على العكس تماما .. لقد راح يخفت ويخفت ، وكأن ذلك الوميض ، على الرغم من لونه الأحمر العنيف ، يبث فيها شعورا عجيبا بالطمأنينة ..

كانت ( نشوى ) تتحدث مع أمها ، عبر الاتصال الفضائى ، عندما سمعت وقع أقدام تقترب من حجرتها ..

أو أنه يخضعها لنوع من التنويم المغنطيسى(*) ..

المهم أنها تجمدت فى مكانها ، ولم ترفع عينيها عن ذلك الكائن ، الذى فقد الكثير من دمه الأخضر . الذى سال على أرضية الحجرة ، وراح يجرى فوقها ، راسما خلفه أشكالا سيريالية عجيبة(**) ..

ثم تقدم الكائن نحوها فى بطء ..

وهنا انتفض جسدها فى عنف ، ووجدت نفسها تبكى ، قائلة :

- لا .. لا تقترب منى .

---

(*) التنويم المغنطيسى : حالة شبيهة بالنوم الطبيعى ، ويمكن إحداثها بوسائل خاصة ، يقع بعدها النائم فى حالة من السبات ، لا تفقده شعوره أو انتباهه ، وإنما تجعله يخضع لإيحاءات المنوّم ، مالم تتعارض مع مبادئه وأخلاقياته الفعلية .

(**) السيريالية : نزعة ولدت عام ١٩٢٤ م ، وأخذت شكلاً واضحًا فى الأدب والفن . وتعتمد فى أساسها على اللاشعور ، وبعثت عوامل عديدة على تبلورها ، منها تحليلات ( أندريه برايتون ) النفسية ، وآراء ( فرويد ) ، وحالة السخط النفسية ، التى خرجت بها الشعوب ، بعد الحرب العالمية الأولى . ومن أئمة الفن السريالى المعاصر ( دالى ) ، و ( ميرو ) ، و ( شجال ) ..



أدهشها صوتها ، الذى بدا ضعيفا متخاذلا ، وكأنها تفعل شيئا ضد إرادتها ..

ولم يبال بها الكائن بالطبع ..

لقد واصل تقدمه نحوها ، حتى صار على قيد مترين منها ، وانحنى ينظر إلى بطنها الممتلئة فى إمعان ، وكأنما أدهشه رؤية هذا الحمل ، الذى يبرز بطنها هكذا ، على نحو لم يعهده فى المخلوقات الأخرى الشبيهة ..

ثم ، ولسبب يعجز العقل المنطقى عن فهمه ، أمسكت يداه بقناعه ، ورفعه عن وجهه فى بطء ..

وفى هذه المرة ، أطلقت ( نشوى ) صرخة رعب حقيقية ..

ولم تكن ملامحه البشعة وحدها هى السبب فى صرختها ..

بل كانت تلك الكوابيس ، التى تهاجمها منذ فترة بلا رحمة ..

فذلك الوجه البشع ، الذى طالعها فى كوابيسها ، والذى يحمله ابنها الوهمى ، كان نفس الوجه المخيف ، الذى يتطلع إليها الآن ..

وارتجف جسد ( نشوى ) فى قوة ..

ارتجف ، وهى تتمتم :

ـ مستحيل !.. مستحيل !.. إنها ليست حقيقة .. إنما هو كابوس آخر ..

كابوس جديد ، سأستيقظ منه بعد قليل .

ولكن المدرّع اقترب منها أكثر ، ولمس بطنها بقفازه ، الذى أضىء كله بلون فستقى باهت ، قبل أن يتراجع ، ويرفع يده نحوها ، و ...

وفجأة ، انطلقت من أصابعه أشعة برتقالية ، أحاطت بجسد (نشوى) كله فى البداية ، ثم لم تلبث أن انكمشت ، وتركزت على منطقة الحمل وحدها ..

وارتجف جسد (نشوى) أكثر ، وهى تهتف :

ـ اترك طفلى .. اترك طفلى ..

ولكن صوتها أتى ضعيفًا ، واهيًا ، متهالكًا ، وكأنما صارت إرادتها سلبية ، لا تملك منها شيئًا ..

وفى بطء ، راحت نقاط بيضاء وحمراء تنطلق ، عبر الأشعة البرتقالية ، وتغوص فى جسد (نشوى) ، ومع غوصها ، يتشكل ظلّ واضح للجنين فى رحمها ..

وأدركت هى أنه يفعل شيئًا ما بجنينها ..

أدركت هذا دون أن تملك المقاومة ، فانحدرت من عينيها الدموع الساخنة ، لتغرق وجهها كله بحمم ملتهبة مقهورة ..



وفى نفس اللحظة ، اقتحم (نور) و (أكرم) المكان .. ووقع بصرهما على المشهد الرهيب ..

ولثانية أو ثانيتين ، تجمّد الاثنان فى مكانهما ذاهلين ، قبل أن ينتفض (أكرم) فى عنف ، صارخًا :

ـ ماذا تنتظر يا (نور) ؟.. الوغد كشف وجهه القبيح .

ومع صيحته ، رفع (نور) فوهة المدفع الصاروخى .. وأطلقه ..

وعلى عكس ما توقّع (أكرم) ، أصاب الصاروخ الكائن فى صدره ، وانتزعه من مكانه ، ودفعه أمامه لمترين كاملين ، عبر باب الحجرة ، قبل أن ينفجر ، ويلقى به إلى أسفل السلم ، مع موجة تضاغطية ، دفعت (نشوى) فى عنف ، لتسقط فوق فراشها ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها (نور) إلى الباب ، ليصوّب مدفعه مرة أخرى إلى الكائن ، الذى نهض غاضبًا ، وبدأ قناع جديد يتكوّن حول وجهه ، ولكن (نور) قال فى غضب :

ـ خسرت هذه المرة أيها الوغد .

وضغط زناد المدفع ..

وانطلق الصاروخ ..

وأطلق الكائن صوتا أجش عجيبا ، والصاروخ ينطلق نحو رأسه مباشرة ، و ...

وكان الانفجار الأخير ..

وفى عنف ، تناثرت كمية هائلة من تلك المادة الفسفورية الخضراء ، مع أشلاء داكنة ، وقطع من مادة أشبه بالعظام ، وغمرت مدخل المكان كله ، وجسد كائن مدرع مجهول بلا رأس ..

ثم هدأ كل شىء ..

هدأ لحظة طويلة ، قبل أن تقفز ( نشوى ) متعلقة بعنق أبيها ، وتنفجر فى بكاء حار عنيف ، و ( أكرم ) يلقى نظرة على جثة الكائن ، قبل أن يسأل ( نور ) :

ـ لماذا لم تطلق الصاروخ الأول على رأسه مباشرة ؟

أشار ( نور ) إلى ابنته ، وهو يقول فى ارتياح :

ـ ما كانت لتنسى المشهد قط ، مهما طال بها العمر .

ثم احتضن ابنته فى حنان ، مستطردا :

ـ أما الآن ، فقد انتهى كل شىء والحمد لله .

قالها ، وهو يسأل نفسه فى أعماقه : هل انتهى كل شىء بالفعل ؟..

هل ؟!

* * *



ارتسم غضب الدنيا كله على وجه ( مشيرة ) ، وهى تدخل مكوك الفضاء السياحى ، قائلة لزوجها ( أكرم ) فى حدة :

ـ لن أغفر لك هذا أبدا .. كيف تخدعنى على هذا النحو ؟.. كيف تجرؤ ؟

ضحك ( أكرم ) ، قائلا :

ـ يمكنك أن تقولى إننى أهوى خداعك .

صاحت فى غضب :

ـ أيها السخيف .. أنا مخطئة لأننى أتيت معك إلى هنا .. كان الأفضل أن أتركك تأتى وحدك .

ضمها إلى صدره ، وهو يقول ضاحكا :

ـ معذرة يا أميرتى ، ولكنك لم تأت من أجلى ، ولكن من أجل ذلك التحقيق ، الخاص بالمستعمرة المريخية .

قالت محتدة :

ـ ولقد وصلت بعد أن انتهت المستعمرة تماما .

غمز بعينه ، قائلا :

ـ ولكنك حصلت على تحقيق أفضل بالتأكيد .

صمتت لحظة مفكرة ، ثم هزت كتفيها ، قائلة :

ـ إننى أستحقه بالتأكيد .

مال نحوها ، وهمس فى أذنها فى رقة :

- أنت تستحقين الأفضل دائمًا .

حاولت إخفاء ابتسامتها ، وهى تغمغم :

- آه .. ستخدعنى مثل كل مرة .

انطلقت ضحكته عالية مجلجلة ، وهو يربت على كتفها فى حرارة ، فى نفس اللحظة التى ظهر فيها طبيب المكوك ، وهو يعاون ( نشوى ) على دخوله ، قائلاً :

- كل شىء على ما يرام يا سيدتى .. اطمئنى .. الحمل ما زال يسير على نمط طبيعى للغاية ، وطفلك فى خير حال ، وأعتقد أنك لن تلدى قبل وصولنا إلى الأرض ، أما لو حدث هذا ، فستجدين لدينا كل الوسائل اللازمة لذلك .

أومأت برأسها فى شحوب ، وتركته يقودها مع زوجها وأمها إلى الداخل ، دون أن تنبس ببنت شفة ، فأحاط ( رمزى ) كتفيها بذراعه فى حنان ، وهو يقول :

- اطرحى عنك هذا الإحباط والألم والحزن يا عزيزتى .. لقد انتهى كل شىء والحمد لله ، وما هى إلا خمسة أيام ، ونعود إلى الأرض ، وتضعين طفلك ، وتنسين كل شىء تمامًا .

تطلعت إليه بوجهها الشاحب ، وحاولت أن تبتسم ،



إلا أنها عجزت عن هذا ، فاكتفت بإيماءة ثانية من رأسها ، محاولة إخفاء كل ما يشتعل فى أعماقها من مخاوف ، وعقلها يستعيد مشهد ذلك الشعاع البرتقالى ، بكل ما يسبح فيه من ذرات حمراء وبيضاء ..

وبينما دلفت ( نشوى ) إلى حجرتها مع زوجها ، ابتسم الربان لـ ( سلوى ) ، قائلا :

- مرحبًا يا سيدتى .. أتعشم ألاّ تحاولى الخروج من المكوك دون إذن ، فى رحلة العودة إلى الأرض .

ابتسمت فى حرج ، مغمغمة :

- ينبغى أن تقدّر مشاعرى كأم .

أومأ برأسه ، قائلاً :

- لقد قدّرت هذا بالطبع ، وإلا لطالبت بعقابك على ما فعلتما ، أنت والسيدة ( مشيرة ) .

غمغمت في ارتياح :

- أشكرك .. أشكرك كثيرًا .

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

- عفوًا يا سيدتى .. عفوًا ..

ثم استطرد فى اهتمام :

- المفترض أن نقلع الآن ، لتبدأ رحلة العودة ، بعد أن وصلنا إلى المريخ ، دون أن نقضى على سطحه

يوما واحدا ، ولكن زوجك يعطل الإقلاع ، فهو لم يصل بعد .

أجابته فى خفوت :

ـ ( نور ) يلقى نظرة أخيرة على الموقف ، وسيصل الآن بإذن الله ، أما بالنسبة للرحلة ، فمن يدرى ؟!.. ربما أتيت فى زيارة لمستعمرة مريخية جديدة ، بعد أشهر قليلة .

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ لست أعتقد هذا يا سيدتى ، فمع كل ما حدث ، سيكون من العسير أن تقام مستعمرة مريخية جديدة ، قبل مرور زمن طويل للغاية .

هتفت ( سلوى ) :

ـ آه .. ها هو ذا ( نور ) .. لقد وصل .

عبر ( نور ) حجرة معادلة الضغط ، واتخذ مكانه فى المكوك ، الذى بدأ العد التنازلى للإقلاع على الفور ، ومالت عليه ( سلوى ) تسأله :

ـ هل اطمأن قلبك ؟!

أجابها فى استرخاء :

ـ مدخل الكهف انهار تماما ، ولم يعد المدخل السرى الخارجى يعمل .



قالت فى ارتياح :

ـ حمدًا لله .. إذن فقد انتهى الأمر أخيرا .. حمدا لله .

ربَّت على كفها فى رفق ، دون أن ينطق بكلمة ، وعقله يعيد ويكرر مشهدًا واحدًا ، لم يستطع نسيانه قط ..

مشهد تلك المجموعة من السلالم ، التى كانت تهبط إلى أسفل فى الكهف الجبلى ..

وكان هذا المشهد يقلقه ، ويثير فى نفسه مخاوف شتى ..

وبلا حدود ..

وفى نفس اللحظة ، التى أقلع فيها المكوك الفضائى ، فى رحلة العودة إلى الأرض ، برز من مدخل سرى آخر زعيم الكائنات الفضائية ، وتطلع إلى المكوك ، حتى غاب فى غياهب الفضاء ، ثم عاد أدراجه إلى القاعة السفلية ، التى استقرّ داخلها حطام سفينة الفضاء العملاقة ، وتجاوز الحطام فى هدوء ، واتجه نحو مجموعة السلالم الهابطة ، وهبط فى درجاتها فى رصانة ، حتى بلغ قاعة لم ير بشرى واحد مثيلا لها .. كانت تفوق مساحة القاعة السابقة بألف مرة على الأقل ، تحت سطح الكوكب ، وقد تراصت فيها ملايين

الأسطوانات ، التى ترقد فيها الكائنات الفضائية ..

وفى هدوء ، بدأ الزعيم يعيد ضبط أجهزة التحكّم الاحتياطية ، استعدادًا لعودته إلى سباته العميق ، ثم استدار يتطلّع إلى مجموعة أخرى من السلالم الهابطة ..

فلقد كانت هناك قاعة أخرى أكثر اتساعًا ، أسفل هذه القاعة ..

وفيها أيضًا مجموعة سلالم هابطة ، تقود إلى أخرى ..

وأخرى ..

وأخرى ..

* * *

[ تمت بحمد الله ]

# بلا أثر

- ماسر ذلك الكائن المدرع الوحشى، الذى ظهر فجأة على كوكب المريخ ؟!..
- كيف اختفى المقاتلون الشبان على المريخ، دون أن يتركوا خلفهم أدنى أثر ؟!..
- ترى هل ينجح (نور) و (أكرم) فى حل اللغز، أم أنهما يختفيان بدوريهما، و... (بلا أثر) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة، واستمتع بالقتال مع (نور) وفريقه فى ملف المستقبل.. مستقبلنا..

العدد القادم: لعنة الدم

د. نبيل فاروق

**ملف المستقبل**

**سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى**

**106**

الثمن فى مصر ٢٠٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم